روايات
مصرية
للجيب







الهدف الخفىّ

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ ـــ مطاردة شرسة ..

كانت الساعة تقترب من العاشرة مساءً ، فى تلك البقعة الهادئة من مدينة (فيرونا) الإيطالية الحالمة ، عندما حدث ما أفسد هذا الهدوء المخيِّم على المكان ..

لقد اندفع أحد الأشخاص فجأة ، ليثب من النافذة المفتوحة ، لإحدى الطوابق المرتفعة ، قافزًا على سطح مبنى مجاور ..

ثم ظهر عدد من الأشخاص من أماكن متفرِّقة ، ليندفعوا فى مطاردة عنيفة وراء الرجل ، استُخدِمَتْ فيها الأسلحة النارية ، المزوَّدة بكواتم للصوت .. وعلى الرغم من الخطر المحيط بالرجل ، إلا أنه بدا غير مستعد للاستسلام ، فقد أخذ يقفز من مبنى إلى مبنى ، ومن سطح لآخر ، غير عابئ بالطلقات التى تتطاير حوله ، ولابتلك القفزات البهلوانية الجنونية ، التى يقفزها ، معرِّضًا حياته للموت فى كل لحظة ، وكل قفزة ، حتى وجد نفسه فوق سطح أحد المبانى العالية ، التى لايجاورها مبنى آخر ، واندفع مطاردوه فى اتجاهه

وقد علت وجوههم ابتسامات تُعبِّر عن الظفر والقسوة ، فقد بدا لهم الرجل فى متناول أيديهم ، بعد أن تمكّنوا من محاصرته على هذا النحو ، من كل الاتجاهات ..

ونظر الرجل إلى أسفل ، ثم إلى مطارديه ، وهو يبتسم بدوره ابتسامة ساخرة ، لا تتفق مع خطورة الموقف ، وقال :

ـــ عفوًا أيها السادة .. كنت أود أن نمضى معًا وقتًا أطول ، فى ممارسة تلك التدريبات الرياضية ، لكن يتعيَّن علىَّ أن أقول لكم الآن وداعًا .

ثم فتح مظلة يدويّة كان يحملها فى يده ، ضاغطًا زرَّين صغيرين فى ذراعها ، فاندفع غاز الهليوم بكثافة ، من أسفل الذراع ، لترتفع به المظلة إلى أعلى ، حاملة إياه فى الهواء ، وتعلّقت به أنظار مطارديه فى ذهول ودهشة ، وقبل أن يتخلّصوا من أثر المفاجأة ويبدءوا فى استخدام أسلحتهم ، ألقى (ممدوح) قنبلة دخانية ، لتصطدم بسور السطح ، محدثة سحابًا كثيفًا من الدخان ، يفصل بينه وبينهم ، ويحجبه عن أنظارهم ، قائلًا :

ـــ مع تحيات (ممدوح عبد الوهاب) .

ثم أخذ يلوِّح بيده ، والمظلة تحمله بعيدًا عن المبنى ، إلى أن قام بجذب غطاء المظلّة ببطء ، لتهبط به تدريجيًّا نحو الأرض ، وما أن أغلق المظلة تمامًا ، حتى كانت قدماه قد استقرتا بهدوء على سطح الأرض ، فألقى بالمظلّة فى أحد صناديق القمامة ، بعد أن أدّت دورها ، ثم استعد لمغادرة المكان ، ولكنه لم يلبث أن تراجع عن مواصلة سيره ، عندما أحسَّ بصوت أقدام آتية من خلفه ، فالتفت إلى مصدر الصوت ، رأى أحد الأشخاص يركض فى اتجاهه ، قادمًا من نهاية الشارع ، الذى وجد نفسه فيه ، وألقى نظرة على الناحية الأخرى ليجد شخصين آخرين ، يحاولان قطع الطريق عليه ، فقال لنفسه ساخرًا .

ـــ يبدو أن هؤلاء الأشخاص لا يطيقون فراقى .

وتطلّع إلى واجهة النادى الليلى ، الذى يتوسَّط الشارع ، ثم اندفع نحو بابه سريعًا ، دون أن يمنح نفسه فرصة التفكير ، واستقبله القائم على الخدمة ، فى النادى الليلى ، ليقوده إلى إحدى الموائد ، ولكنه بدا مشغولًا عنه بمراقبة باب النادى ، ولم يكد يستقرّ أمام المائدة ، حتى وجد أولئك الأشخاص يقتحمون المكان ، بأنفاس لاهثة ووجوه غاضبة ..

كان عدد مطارديه الآن قد وصل إلى خمسة أشخاص ،

وتعلّقت عيونهم به ، وقد تطاير منها الشرر ، ولكن بدا له أنهم لا يبغون إحداث ضجّة ، أو لفت النظر إليهم أمام رواد النادى ، إلا إذا أعيتهم الحيلة ، فى إجباره على مغادرة المكان ، إذ بدءوا فى تنظيم أنفسهم ، للإحاطة به ، ووضعه أمام أنظارهم بصورة دائمة ، ووقف اثنان منهم عند مدخل النادى الليلى ، وتناثر الثلاثة الآخرون فى أماكن متفرّقة من النادى ، وكان من الواضح أنهم لن يدعوه يغادر ذلك المكان بسهولة ، وأنهم عاقدون العزم على النيل منه ، والحصول على (الميكروفيلم) ، الذى استولى عليه منهم ، بأى ثمن .. وبدا أحدهم أكثر عصبية وانفعالًا من الآخرين ، فقد أخذ يتململ فى مقعده ، ثم نهض فى اتجاه (ممدوح) ، برغم تحذير زميله له ، ولم يكن (ممدوح) بدوره يبغى إحداث ضجة ، تقود إلى معركة مع هؤلاء الأشخاص الخمسة ، خاصة وقد فقد مسدّسه فى تلك المطاردة العنيفة ، فى حين كان خصومه مدجّجين بالسلاح ، لذا فقد نهض من فوق مقعده سريعًا ، ليدور حول المائدة ، قبل أن يصل إليه ذلك الرجل الغاضب ، وانتهز فرصة الموسيقى ، والرقص الذى يدور فى المكان ، ليتقدّم من إحدى الموائد ، التى التفّ حولها عدد من الرجال والسيدات ، وانحنى أمام إحداهن إنحناءة صغيرة ، قائلًا :

ــ أتسمحين لى بمراقصتك .

كان ينظر للفتاة بإحدى عينيه ، وعينه الأخرى تتطلّع إلى الشوكة الموضوعة على المائدة .. أمام الطعام ، وقالت الفتاة فى حرج :

ــ عفوًا ، ولكننى أتناول طعامى ، و ...

قاطعها (ممدوح) بلهفة ، وهو يتناول يدها :

ــ أرجوك يا آنستى .. إننى بحاجة ماسة إلى مراقصتك .

وتجلّت الدهشة على وجه الفتاة ، لهذا الإلحاح العجيب ، فلم تكن بينها وبين (ممدوح) معرفة سابقة ، ثم أنها لا تدرى ماذا تعنى حاجته الماسة هذه إلى مراقصتها ، ولكنها قبل أن تقول أى شئ ، أو تبدى أى اعتراض ، وجدت نفسها قد أصبحت بين يديه فى ساحة الرقص ، وهو يدور بها راقصًا فى براعة ، ولم تُمكّنها دهشتها ، كما لم تُمكّن الجالسين معها ، من ملاحظة استيلاء (ممدوح) على الشوكة الموضوعة على المائدة ، فى خفة وخفية بارعة ..

واضطرّ الرجل ، الذى كان يهم بالتوجّه نحو (ممدوح) ، وعلى وجهه أمارات الغضب ، إلى التراجع ، بعد أن وجده قد انخرط وسط الراقصين والراقصات ، مبتعدًا عن المائدة ، التى كان يجلس أمامها ..

وسألته الفتاة وأمارات الدهشة لا تزال بادية على وجهها :

ـــ لقد جذبتنى إلى ساحة الرقص بطريقة غريبة ، ولا تتسم باللياقة .

وأجابها ممدوح ، وتلك الابتسامة الساحرة تظلّل وجهه :

ـــ أعذرينى .. فأنا لم أقوى على مقاومة جمالك ..

قالت وهى تحاول أن تخفى تأثّرها من إطرائه .

ـــ يبدو أنك من ذلك النوع ، الذى يبرع فى استخدام عبارات الغزل .

ممدوح :

ـــ لقد بدأت أتعلمه منذ رأيت وجهك الفاتن .

وقالت الفتاة بدلال :

ـــ أعتقد أنك تبالغ .. والآن هل تتكرم بإعادتى إلى المائدة ، لأُواصل تناول عشائى ؟

ولكن (ممدوح) بدا مشغولًا عن متابعة حديثها ، بمراقبة مواقع الرجال داخل النادى الليلى ، ونظرت إليه الفتاة ، وهى تقول فى حيرة :

ـــ لماذا تتلفّت حولك هكذا؟ .. هل سمعتنى؟

التفت إليها (ممدوح) ، قائلًا :

ـــ أرجو أن تستمرى فى مراقصتى .

قالت الفتاة بدهشة :

ـــ ولكنك تبدو مشغولًا بأمر ما .. لماذا طلبت مراقصتى ، ما دمت لا تعيرنى انتباهك هكذا؟ .

ممدوح :

ـــ هل تريديننى أن أكون واضحًا معك ؟

أجابته قائلة :

ـــ بالطبع .

ممدوح :

ـــ إن هذه الرقصة ـــ بالنسبة لى ـــ مسألة حياة أو موت .

ازدادت دهشة الفتاة ، وارتفع حاجباها ، وهى تقول :

ـــ حياة أو موت؟! .. كيف؟

نظر (ممدوح) فى اتجاه مدخل النادى ، هامسًا :

ـــ هل ترين هذين الرجلين ، اللذين يقفان فى مدخل الباب؟

نظرت الفتاة إلى الجهة التى أشار إليها ، قائلة :

ـــ نعم .

ممدوح :

ـ إنهما ينويان قتلى ، فى اللحظة التى أتوقّف فيها عن الرقص معك ، ولكننى لا أنوى السماح لهما بذلك .

حاولت الفتاة التخلص من بين ذراعيه ، قائلة :

ـ لابد أنك تمزح .

كان قد اقترب بالفتاة من الباب ، فى أثناء مراقصته لها ، بحيث أصبح قريبًا من أحد الشخصين اللذين يتربصان به ، فاستطرد ، قائلًا :

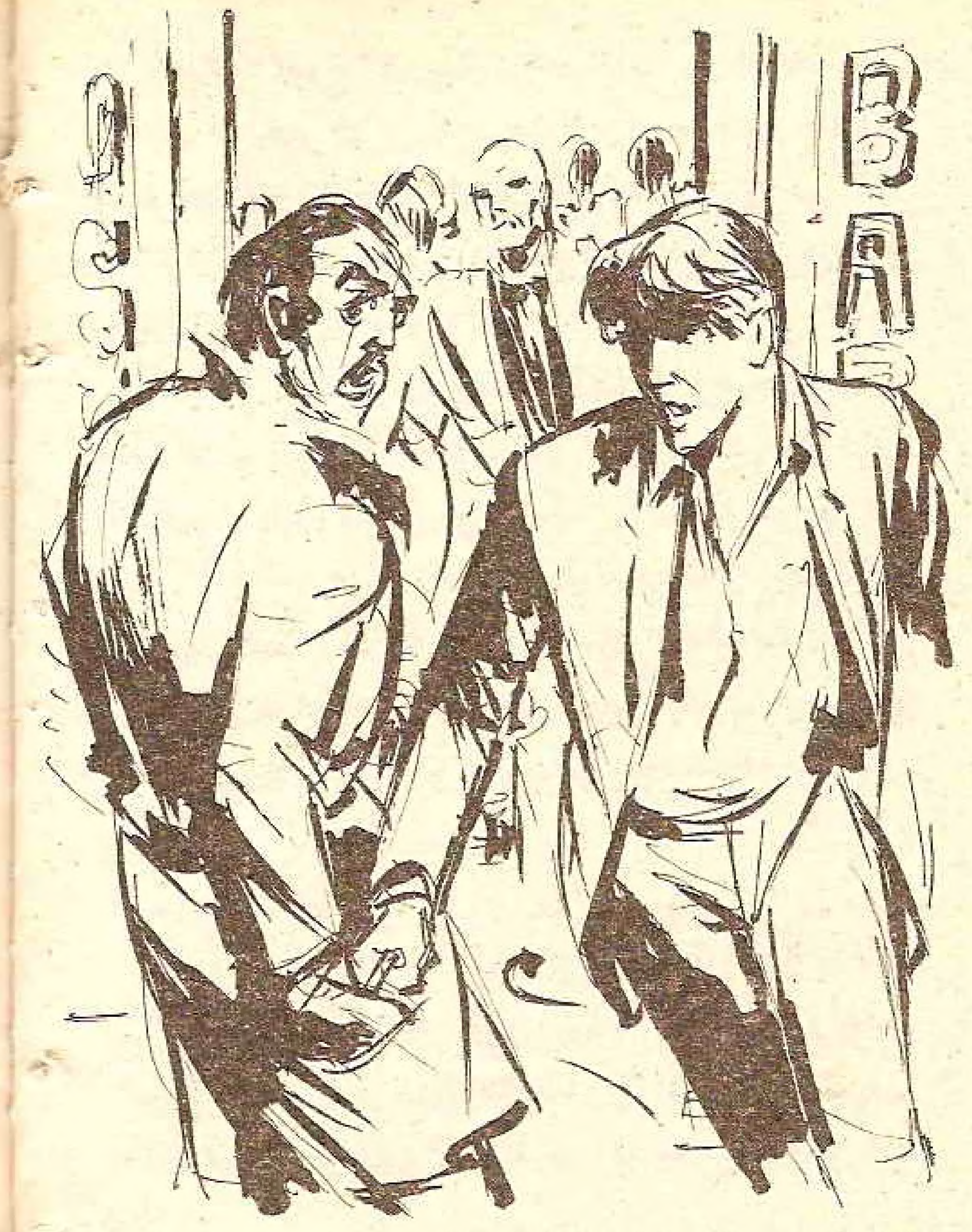
ـ سترين الآن أننى كنت صادقًا تمامًا ، فيما قلته لك .

قال هذا ، بينما كان ذلك الشخص يتقدّم نحوه ، وقد أخفى فى يده خنجرًا مدببًا ، حاد الطرف ، لم تخطئه عين (ممدوح) ، وكان يستعد لدفعه فى ظهره ، فى أثناء مراقصته الفتاة ، لولا أن (ممدوح) تخلّى عن الفتاة سريعًا ، وهو يستدير لمواجهة الرجل ، مسدّدًا ركلة قوية بمقدّمة حذائه إلى ساق خصمه ، جعلته يصرخ من الألم ، وهو ينحنى إلى الأمام ، وبنفس السرعة والقوة سدّد (ممدوح) لكمة فولاذية ، إلى فك الرجل ، أطاحت به أرضًا ، ليسقط وسط الراقصين ، وقد انطلقت الصرخات ، وعلت الوجوه الدهشة ..

واندفع (ممدوح) فى خفة النمر نحو الباب ، فى اللحظة التى كان فيها الشخص الآخر قد استعد لإخراج مسدّسه ، المزوّد بكاتم للصوت ، استعدادًا لتصويبه إلى (ممدوح) فى حين كان الثلاثة الآخرون قد تخلّصوا من وقع المفاجأة عليهم ، وتأهبوا للانطلاق فى أثره ، لكن (ممدوح) الذى اندفع نحو الباب كالعاصفة ، باغت الرجل المتأهب لإطلاق الرصاص عليه ، بدفع أسنان الشوكة الحادة ، التى استولى عليها من فوق المائدة ، فى يده القابضة على المسدّس ، قبل أن يخرجها من جيبه ، ثم أزاحه عن طريقه بركلة قويّة من قدمه ، من تلك الضربات الفنية ، التى يجيدها ، وفى تلك اللحظة كانت هناك سيارة مسرعة تتوقّف أمام مدخل النادى الليلى ، حيث فتح سائقها بابها الأمامى ، وهو جالس أمام مقعد القيادة ، هاتفا لـ (ممدوح) :

ـ هيا .. أسرع .

وثب (ممدوح) داخل السيارة ، التى لم ينتظر قائدها إغلاق بابها ، فانطلق بها سريعًا ، وهو ينهب الأرض نهبًا ، وأغلق (ممدوح) باب السيارة والرصاصات تلاحقه وهو يلهث من شدة الانفعال ، والجهد الذى بذله ، وابتسم سائق السيارة ، قائلًا :



لكن (ممدوح) الذى اندفع نحو الباب كالعاصفة ، باغت الرجل المتأهب لإطلاق الرصاص عليه ، بدفع أسنان الشوكة الحادة ..

ـ حمدًا لله على سلامتك ياسيادة المقدّم .

التقط (ممدوح) أنفاسه ، وهو يبتسم لزميله بدوره ، قائلًا :

ـ شكرًا يا (رفعت) .. لقد وصلت فى الوقت المناسب تمامًا .

الرائد (رفعت) .

ـ كنت أتأهب لانتظارك فى نهاية الشارع كما اتفقنا ، ولكننى رأيتك تندفع من خارج النادى الليلى ، فلحقت بك ، ويبدو أننا أصبنا خصومك بخيبة أمل كبيرة .

ممدوح :

ـ كانت المطاردة شرسة حقًّا .

رفعت :

ـ وهل حصلت على (الميكروفيلم) ؟

ممدوح :

ـ إنه فى جيبى .

رفعت :

ـ عظيم .. سأوصلك الآن إلى الميناء ، حيث تستقل أحد الزوارق التى استأجرناها لك ، وسيتولى أحد الأصدقاء

مصاحبتك إلى عرض البحر ، حيث ستكون الباخرة المصرية (الحرية) فى انتظارك ، لتنتقل إليها ، وتواصل معها الرحلة إلى ميناء (السويس) .

ممدوح :

ـ أرجو أن تتم هذه العملية بهدوء ، فلم تعد بى رغبة فى مواصلة الركض ، واستئناف المعارك ، مع أولئك القتلة المأجورين .

وابتسم (رفعت) ، قائلًا :

ـ اطمئن .. أعتقد أننا قد تجاوزنا مرحلة الخطر .

ثم اتسعت ابتسامته، وهو يضيف :

ـ هذه المرة على الأقل .

* * *



٢ ـ المكالمة غامضة ..

استقبل اللواء (مراد) (ممدوح) مُهنئا ، وهو يقول :

ـ لقد أديت مهمتك بكفاءة تامة ، تستحق الإشادة .

أطرق (ممدوح) ، قائلًا بتواضع :

ـ إننى لم أفعل سوى الواجب ياسيِّدى .

اللواء (مراد) .

ـ هذا (الميكروفيلم) ، الذى أحضرته ، يمثل أهمية بالغة ، بالنسبة لوزارة الدفاع ، ولقد كلفنى الوزير أن أنقل إليك تحياته وتقديره ، على المجهود الذى بذلته فى سبيل إعادة (الميكروفيلم) ..

وصمت قليلًا ، ثم قال :

ـ والآن أعتقد أنك بحاجة لبعض الراحة والاستجمام .. ما رأيك ، أيكفيك يومان إجازة؟

ممدوح :

ـ إنهما يكفيان تمامًا ياسيِّدى .

اللواء (مراد) .

ـ حسنا .. اعتبر نفسك فى إجازة من الغد .

واستئذن (ممدوح) فى الانصراف ، ثم غادر حجرة اللواء (مراد) ليمرّ على زملائه ويقوم بتحيّتهم ، بعد غيابه عنهم عشرة أيام كاملة ، وقبل قيامه بالأجازة ، والتقى بـ (رفعت) ، فداعبه ، قائلًا :

ـ أهلا بالسائق المتهوّر .. متى عدت من (إيطاليا) ؟

ابتسم (رفعت) ، قائلًا :

ـ فى نفس الليلة ، التى غادرتها فيها ، ولكننى سبقتك بالطائرة .

ثم مازحه ، قائلًا :

ـ أرجو ، ألا تكون قد أفرطت فى تناول المكرونة الإيطالية ..

ضحك (ممدوح) ، قائلًا :

ـ فى الحقيقة لقد أصبحت مغرمًا أكثر بتلك الأدوات ، التى يقدمها الإيطاليون مع أطباق المكرونة ، فهى مصنوعة من صلب جيد للغاية ، وبفضل إحدى هذه الأدوات نجوت من موت محقق ، والآن لاتعطلنى ، فأنا أريد تحية بقية الزملاء ،

قبل أن أقوم بالإجازة .

وصافحه (رفعت) ، قائلًا :

ـ أتمنى لك إجازة سعيدة .

عرج (ممدوح) على المعمل الكيميائى ، التابع للإدارة ، حيث التقى هناك بصديقه وزميله الكيميائى الشاب الدكتور (إبراهيم) ، الذى لم يكد يراه حتى تخلّى عن القوارير التى فى يده ، واندفع لمصافحته بحرارة ، قائلًا :

ـ أهلًا .. أهلًا .. (ممدوح) .. حمداً لله على سلامتك .. متى وصلت ؟

ممدوح :

ـ أمس .. إننى لم أشأ القيام بالإجازة ، قبل أن أمرّ عليك ، وأحيّيك . دكتور (إبراهيم) .

ـ لقد افتقدناك كثيرًا ، خلال الأيام الماضية .. لابد وأنها كانت مهمة ناجحة كالمعتاد .

ممدوح :

ـ لقد كلّل الله مجهودنا بالنجاح ، واستطعت تحقيق الغرض من المهمة .. ما أخبار أحبارك السرية وغازاتك الكيماوية ؟

تناول الدكتور (إبراهيم) برطمانًا متوسط الحجم ، به

مادة كيماوية ذات لون أحمر قانى ، قائلًا :

ـ دعك من الأحبار والغازات ، وانظر إلى هذا .

نظر إليه (ممدوح) ، قائلًا :

ـ أنه يبدو كمشروب الكركديه المغلى .

قال الكيميائى الشاب ، وقد اكتست ملامحه بالجدّية .

ـ بل هو نوع من التركيبات الكيميائية شديدة الخطورة ، وسريعة المفعول .. قطرة واحدة منه .. تصيب الإنسان بالشلل ، وتعجز جهازه العصبى تماما ، أما لو زادت الجرعة إلى بضعة قطرات ، فإنها كفيلة بتدميره ، وتفتيت كل خلاياه ، وخطورته الحقيقية هى أن آثاره من الممكن أن تنتقل من شخص إلى آخر بمجرد اللمس .

نظر (ممدوح) إلى السائل ، قائلًا بدهشة :

ـ إلى هذا الحدّ .

الدكتور (إبراهيم) :

ـ بل إلى أكثر من هذا الحدّ .. إنه سم زعاف ، عجز الكثيرون عن إيجاد وسيلة لإيقاف آثاره المدمّرة ، أو الحدّ من تلك الآثار على الأقل ، وهو أشد خطورة عندما يتم تحويله ، من تلك الحالة السائلة التى تراها عليه ، إلى الحالة الغازية ،

إذ يكفى استنشاق كمية ضئيلة منه ، فى حجرة مغلقة أو مفتوحة ، تضم ثلاثين شخصًا حتى يلقوا جميعًا مصرعهم ، وهنا مكمن الخطورة الحقيقية إذ أن أثره فى حالته السائلة محدود ، ويمكن مواجهته ، أما فى الحالة الغازية فشامل ويصعب تجنبه ، خاصة أنه يحتاج إلى نوع خاص من الأقنعة الواقية ، ذات التكلفة العالية .

وازداد (ممدوح) تحديقًا فى ذلك السائل ، قائلًا :

ـ الشر مجسمًا إذن يكمن فى هذا البرطمان .

وعقَّب الدكتور (إبراهيم) :

ـ وهو الخطر الذى يهدِّد بلادنا بالموت والفناء ، إذا ما علمت أن هذا المركب الكيمائى قد تم إعداده فى معامل إحدى الدول المعادية لنا .

التفت (ممدوح) إلى الدكتور (إبراهيم) ، وقد بدا عليه الاهتمام ، قائلًا :

ـ ماذا تقول ؟

الدكتور (إبراهيم) :

ـ نعم .. هذه العينة التى تراها تم الحصول عليها بوساطة أحد عملاء الإدارة ، حيث أُنيطت بى مهمة إعداد مصل واقٍ مضاد ، لتلك التركيبة الكيمائية ، حتى يمكن تحصين أفراد

القوات المسلحة به ، ضد هجمات كيميائية من ذلك النوع ، والحمد لله .. نجحت أمس فقط فى إعداد هذا المصل .

التقط (ممدوح) أنفاسه ، قائلًا :

ــ الحمد لله .. ولكننى أعتقد أنه ، حتى مع وجود هذا المصل ، فما يزال الخطر قائمًا .

الدكتور (إبراهيم) .

ــ معك حق ، فعند استخدام هذا المركّب فى صورته الغازية ، قد تمتد آثاره لمساحات كبيرة ، يمكن أن تلحق الضرر بالمدنيين ، ولكن المعلومات المتوافرة لدينا تفيد وجود صعوبات لدى الدولة المعادية ، فى تحويل ذلك السائل إلى غاز ، خاصة وأنه يحتاج إلى مكثفات كبيرة وتكلفة عالية ، ومهارة فى الاستخدام ، وحتى إذا كانوا قد نجحوا فى تحويل كمية منه إلى غاز ، فإن معدلات إنتاج هذا السائل ، كما تفيد التقارير ، لا يمكن أن تصيب إلا مناطق محدودة .

ممدوح :

ــ ومع ذلك ، فإنهم سيسعون إلى تحقيق الاستخدام الأمثل لذلك الغاز الرهيب ، وعلينا أن نكون مستعدين لمواجهة هذا الخطر .

الدكتور (إبراهيم) .

ــ المصل الذى نجحت فى إعداده ، ليس نهاية المطاف بالنسبة لنا ، فهناك المزيد من التجارب ، التى تجرى فى معمل الإدارة ، ومعامل القوات المسلحة ، وأكاديمية البحث العلمى ، لمواجهة خطر ذلك السائل ، وتحصين شعبنا ضد أضراره ، فنحن لن نتركهم يهددون بلادنا ، ونقف مكتوفى الأيدى .

ممدوح :

ــ أتمنى ذلك .. والآن وداعًا حتى نلتقى قريبًا .

الدكتور (إبراهيم) .

ــ وداعًا يا (ممدوح) ، وحمدًا لله على سلامتك مرة أخرى .

استغرق (ممدوح) فى نوم عميق ، كان فى أمس الحاجة إليه ، بعد رحلته المرهقة إلى (إيطاليا) ، وساعده على النوم ذلك السكون ، الذى كان يشمل منزله والمكان حوله ، وشعوره بالارتياح النفسى والرضا ، وهو الشعور الذى كان يشمله دائمًا ، كلما انتهى من أداء مهمته ، وأحسّ بأنه قام بواجبه فيها على أكمل وجه ، وفجأة شق ذلك السكون صوت

جرس الهاتف ، الموضوع بالقرب من فراشه ، فهبّ من نومه منزعجًا ، ونظر في المنبّه الموضوع إلى جواره ، ليجد أن الساعة قد تجاوزت الثانية والنصف بعد منتصف الليل ، وتناول السَّماعة ليضعها على أذنه ، وقد اعتراه قلق مبهم ، ليسمع صوتًا يقول في ارتياع :

ــ (ممدوح) .. إنني في خطر .. أرجوك حاول أن تساعدني .. احضر فورًا . إنني في المعمل و .....

وفجأة ساد السكون ، وانقطع الاتصال ، ولكن (ممدوح) يعرف صاحب الصوت .. فقد كان في صحبته أمس فقط ..

إنه الدكتور (إبراهيم) ..

وعلى الرغم من انقطاع الاتصال الهاتفي ، إلا أن (ممدوح) ظل متعلقًا بالسَّماعة ، وهو ينادي ، قائلًا :

ــ دكتور (إبراهيم) .. (إبراهيم) .

ولكن دون جدوى ..

وعاد (ممدوح) يتصل بالرقم السري لمعمل الأبحاث الكيميائية ، التابع للإدارة ، في لهفة وانزعاج ، ولكن الرنين ظل يتواصل دون أن يجيبه أحد ، فاتصل (ممدوح) بالضابط

النوبتجي ، الذي تعمل الإدارة تحت إمرته ، في هذه الساعة المتأخرة من الليل ، ولم يكد يسمع صوته ، حتى قال في انفعال :

ــ سيادة العقيد .. أنا (ممدوح عبد الوهاب) .. أعتقد أنه هناك شيئًا غير عادي ، حدث في معمل الأبحاث الكيميائية .

وقال العقيد (فتحي) :

ــ اهدأ قليلًا يا (ممدوح) .. إنك تبدو منفعلًا للغاية .. ما الذي حدث في معمل الأبحاث ؟

ممدوح :

ــ لقد اتصل بي الدكتور (إبراهيم) منذ لحظات ، من داخل المعمل ، ليخبرني أنه يتعرض لخطر داهم ، ثم انقطع الخطّ ، وحاولت الاتصال بالمعمل الكيميائي ، ولكن أحدًا لم يجب .

بدت الدهشة في صوت العقيد (فتحي) ، وهو يقول :

ــ ولكن الدكتور (إبراهيم) غادر المعمل والإدارة ، منذ سبع ساعات ، والمعمل مغلق الآن ، وتم توزيع أفراد الحراسة عليه ، طبقًا لتنظيم الحراسات الليلية على أقسام الإدارة ، ولم يحاول أحدهم الاتصال بي ، للحصول على إذن بفتح المعمل ، لأي من الكيميائيين التابعين للإدارة ، بما فيهم الدكتور

(إبراهيم) :

ممدوح :

ـ ولكن الدكتور (إبراهيم) أخبرنى أنه موجود فى المعمل ، قبل أن ينقطع الاتصال الهاتفى .

العقيد (فتحى) :

ـ على كل حال ، سأتصل بإدارة الأمن ، وبوحدة الحراسة الموجودة حول المعمل ، للتأكد من الأمر ، ثم أتصل بك .

ممدوح :

ـ أرجو أن تأمر سيادتك بفتح المعمل أيضًا ، زيادة فى الاطمئنان .

العقيد (فتحى) :

ـ حسنا .. سأفعل .. والآن ضع سماعة الهاتف ، وانتظر حتى أنتهى من هذه الإجراءات ، ثم أتصل بك .

وضع (ممدوح) سماعة الهاتف ، سيطرت عليه حالة من القلق .

لقد بدا الفزع واللهفة واضحين ، فى صوت صديقه الدكتور (إبراهيم) ، مما يعنى أنه كان يتعرض بالفعل لخطر

داهم ، ولكن العقيد (فتحى) يؤكد أنه لم يحدث شئ غير عادى ، وأن الدكتور (إبراهيم) غادر الإدارة منذ سبع ساعات كاملة ، فأى لغز هذا ؟

ولم يعد أمام (ممدوح) سوى انتظار الاتصال الهاتفى ، من العقيد (فتحى) ، ليوضّح له الأمر ، فظلّت عينه معلّقة بالهاتف ، ومرّت الدقائق ثقيلة، وكأنها ساعات طويلة ، وفجأة ، وبعد مرور خمس عشرة دقيقة كاملة ، تعالى رنين الهاتف ، فانقض (ممدوح) على السّماعة فى لهفة وانفعال ، وكانت تنتظره مفاجأة ..

مفاجأة عجيبة .

* * *

٣ ـ لمسة الرعب ..

سمع (ممدوح) صوت العقيد (فتحى) يأتيه، قائلًا :

ـ كما أكدت لك من قبل، لا يوجد أى شىء غير عادى فى معمل الأبحاث الكيميائية، ولا فى المنطقة المحيطة به .

وبدا الأمر مثيرًا للحيرة، بالنسبة لـ (ممدوح)، وهو يتلقى ذلك التأكيد، إلى أن خاطبه العقيد فتحى، قائلًا :

ـ انتظر .. هل قلت إن الدكتور (إبراهيم) أخبرك أنه يتصل بك من المعمل؟

ممدوح :

ـ نعم، وكان واضحًا من حديثه أن هناك أمرًا غير عادىّ، يدور فى ذلك المعمل .

العقيد (فتحى) :

ـ أعتقد أن للدكتور (إبراهيم) معمل كيمائى خاص به، فى الفيلا التى يقيم بها، وأنه يستكمل بعض تجاربه فيه .

ممدوح :

ـ إذن فهناك احتمال أنه كان يخاطبنى من داخل معمله الخاص، وليس من معمل الإدارة .

العقيد (فتحى) :

ـ ليس هناك تفسير آخر سوى ذلك .. هل ستتصل به هناك؟

ممدوح :

ـ لا أعتقد أن الأمر يحتمل الاتصالات الهاتفية .. سأذهب الى منزله بنفسى، لاستطلاع الأمر .

العقيد (فتحى) :

ـ كن حذرًا، وسوف أرتّب الأمر للحاق بك .

وعلى الفور وضع (ممدوح) سمّاعة الهاتف، وارتدى ثيابه على عجل، ثم لم تمض دقائق حتى كان ينطلق بسيارته، فى طريقه إلى منزل الدكتور (إبراهيم)؛ وفى خلال ثلث الساعة كان قد وصل بسيارته إلى المنزل، الذى يلفّه الظلام، فقفز من سيارته مندفعا فى اتجاه الفيلا، ووجد الباب مغلقًا من الخارج بإحكام، فأخذ يدور حول المنزل، باحثًا عن منفذ يمكنه من التسلّل داخل الفيلا، حتى لفتت نظره نافذة مفتوحة، ويفصلها عن الأرض بضعة أمتار، وتأهّب (ممدوح) للقفز

داخل النافذة ، ولكنه توقّف عن المحاولة ، عندما لمح أحد الأبواب الجانبية بجوار (الجراج) مفتوحة ، فقال لنفسه :

ــ لا بد أن هذا هو المعمل الكيميائى .

وأجّل محاولة التسلّل عبر النافذة ، ليتجه نحو الباب المفتوح ، ووقف عند مدخله ، وهو يُرهف سمعه ، بعد أن تناول مسدّسه من الجراب الملتف حول أبطه ، فلم يسمع شيئًا ، وتقدّم بضع خطوات إلى الداخل ، ويده تتحسّس الجدران ، بحثًا عن مفتاح النور ، حتى عثر عليه ، فأضاء المكان ، ووجد أمامه معملًا كيميائيًّا صغيرًا ، يضمّ مجموعة من القوارير والأنابيب والمعدات ، والأدوات الكيميائية ، فتقدّم داخل المعمل بحذر ، وهو يتفحّص المكان ، حتى وجد سمّاعة الهاتف داخل المعمل ، ملقاة فوق إحدى الموائد ، ولمح بالقرب من السمّاعة مجموعة من القوارير والأنابيب الزجاجية محطّمة ، وقد لطّخت ما تحتويه من سوائل المائدة الخشبية ، والحوض المتصل بها ، وتركت بعض البقع على الأرض ، فقال لنفسه :

ــ لقد دارت معركة حقيقية فى هذا المكان .

وأخذ يتنقّل داخل المعمل ، باحثًا عن أية شواهد أخرى ، إلى أن أشتمّ رائحة غريبة ، ثم وقع نظره على جثة رجل ملقى

على الأرض ، وقد تكور حول نفسه ، وبدت ثيابه ممزّقة ، وفى وجهه آثار كدمات ولكمات ، مما يدل على أنه قد اشترك فى معركة عنيفة ، فجثا على إحدى ركبتيه ، إلى جوار الرجل ، ونفذت إلى أنفه آثار الرائحة الغريبة ، التى انبعثت من جثة الرجل ، وهتف وهو يحدّق فى وجهه :

ــ (جمال) ؟!

لقد عرف (ممدوح) شخصية الرجل .. إنه (جمال عزمى) ، الحارس المكلّف حماية الدكتور (إبراهيم) ، والتابع لوحدة الحراسات ، بإدارة العمليات الخاصة ..

وتألّم (ممدوح) لرؤية الرجل ، وقد انتهى هذه النهاية ، وأيقن أنه قد لقى مصرعه ، فى أثناء محاولته الدفاع عن الدكتور (إبراهيم) ، لحمايته من الخطر الذى تعرّض له ، والذى اتصل به بسببه ، ومن الواضح أن وفاته لم تكن طبيعية ، فبغضّ النظر عن الكدمات وآثار اللكمات على وجهه ، لا توجد فى جسده أية آثار لطعنات أو طلقات رصاص ، أو حتى دماء .. ليس هناك إلا تلك الرائحة الكريهة ، التى تنبعث من جثته ..

ولكن .. أين الدكتور (إبراهيم) ؟ ..

إنه لم يعثر على أدنى أثر له ، داخل المعمل الكيميائى ..

وقال (ممدوح) لنفسه :

ـــ إذا لم يسفر البحث داخل الفيلا عن العثور على الدكتور (إبراهيم) أو جثته ، فمن المرجّح فى هذه الحالة أن يكون قد اختطف .

وبينما هو مستغرق فى تساؤلاته ، سمع صوت أقدام بالخارج ، ووجد مجموعة من زملائه يقتحمون المعمل ، وعلى رأسهم العقيد (فتحى) ، وقد تسلّح كل منهم بسلاحه ، وبادره (فتحى) ، قائلًا :

ـــ لقد اتصلت باللواء (مراد) ، بعد أن انهيت مكالمتك ، وأمرنى بالتوجّه فورًا إلى منزل الدكتور (إبراهيم) للحاق بك ، خاصة وأن هاتف الدكتور (إبراهيم) لا يرد ، وقد وجدنا الأسلاك مقطوعة داخل المنزل .

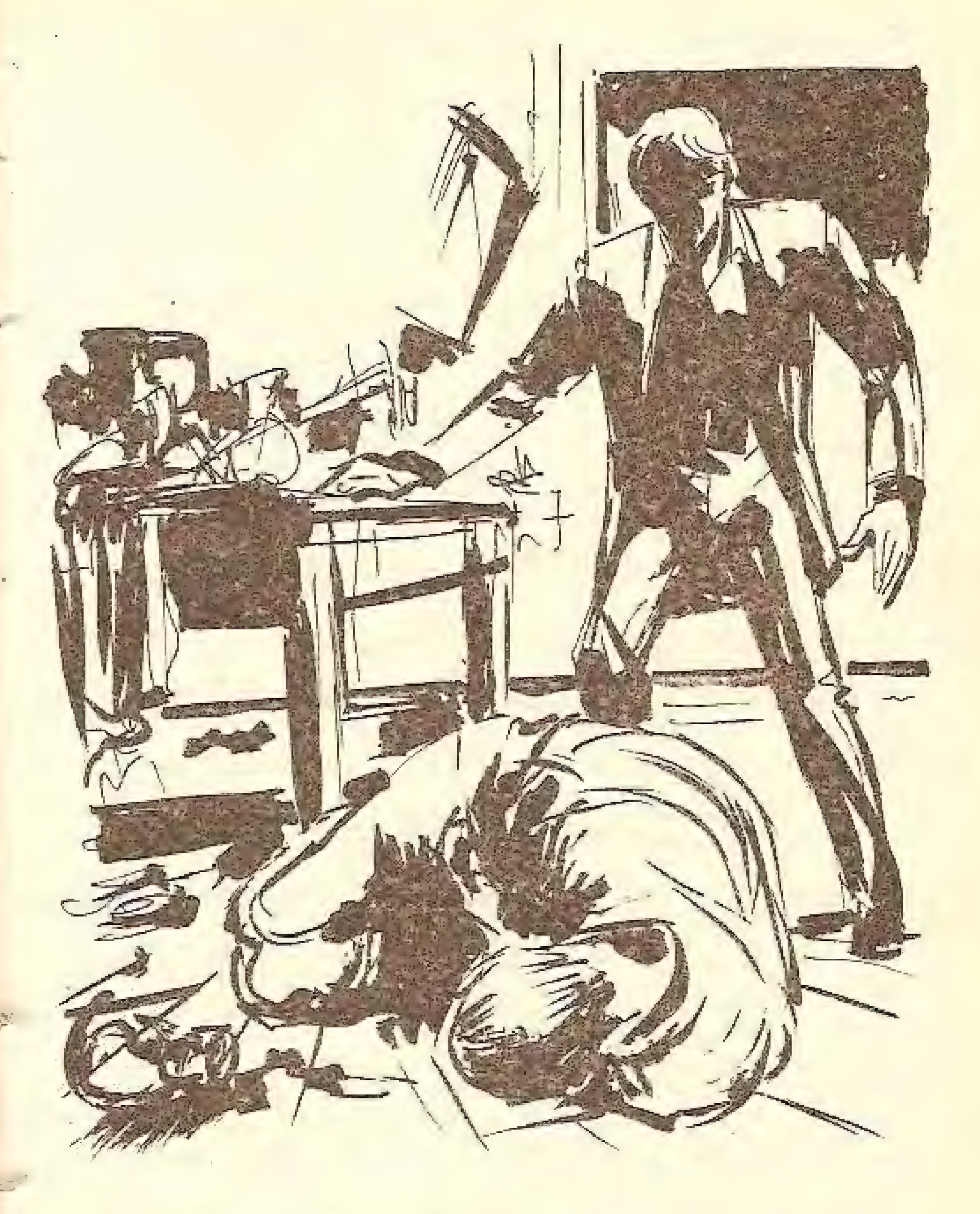
قال (ممدوح) بصوت مهموم :

ـــ والسمّاعة داخل المعمل مرفوعة .

نظر العقيد (فتحى) إلى الجثة الممدّدة أمام (ممدوح) ، هاتفًا :

ـــ ما هذا؟

ممدوح :



ثم وقع نظره على جثة رجل ملقى على الأرض ، وقد تكور حول نفسه ..

— إنها جثة المساعد (جمال عزمى) ، المكلف حراسة منزل الدكتور (إبراهيم) .

وقال العقيد (فتحى) ، وملامح الأسف بارزة على وجهه :

— يبدو أنه قد تعرض لأذى بالغ ، قبل أن يلقى حتفه .

ثم التفت إلى (ممدوح) ، قائلًا :

— هذا يعني أن الدكتور (إبراهيم) قد تعرّض لمكروه أيضا ، ولكن أين هو ؟

ممدوح :

— هل فتشتم الفيلا من الداخل ؟

العقيد (فتحى) :

— ولم نعثر على شئ ، عدا الأسلاك المقطوعة .

ممدوح :

— هذا يؤيد استنتاجي ، وهو أن الدكتور (إبراهيم) قد تعرّض لعملية اختطاف .

وفجأة استدار (ممدوح) حول نفسه سريعًا ، وهو يصرخ فى أحد زملائه ممن جاءوا مع العقيد (فتحى) :

— انتظر .. لاتلمس الجثة .

ولكن سبق السيف العزل .. إذ كان الرجل قد تقدّم

لفحص الجثة ، دون أن ينتبه إلى تحذير (ممدوح) ..

وتوقّف الرجل عن ملامسة الجثة ، بمجرّد سماعه تحذير (ممدوح) ، ثم نظر إليه وهو مايزال جاثيا على ركبتيه إلى جوار الرجل الصريع ، قائلًا :

— الجثة تبدو باردة كالثلج ، وهناك جحوظ غريب فى العينين ، بالإضافة لتلك الرائحة الكريهة .

وقال (ممدوح) فى غضب :

— ما كان يجب أن تلمس الجثة ، قبل أن يأتى خبير المعمل الجنائى ، فأنا أشكّ فى الطريقة التى قُتِلَ بها المساعد (جمال) ، وأرجو ألا يكون شكي فى محله .

وقال زميله ، وهو يستعد للنهوض :

— آسف .. إننى لم أتبيّن خطورة الأمر ، وظننت ...

ولكن ، وقبل أن ينتهي من جملته ، أخذ جسد الرجل يرتعد بشدة ، وبدت على وجهه تقلصات عصبية سريعة ، كما أخذت أطرافه تتقلّص ، دون أن يقوى على النهوض ، وسرعان ما انثنى على نفسه ، وسقط على الأرض يتلوّى ويصرخ بشدة ، إلى أن توقّف عن الحركة تمامًا ، وبدا كما لو كان جثة هامدة ..

حدث هذا أمام (ممدوح) والعقيد (فتحى) ، ومجموعة الأشخاص الآخرين ، الذين أخذوا ينظرون إلى زميلهم ، وقد عقدت الدهشة ألسنتهم ..

ولم يستغرق الأمر سوى ثوان قليلة ، وبدت ملامح الألم واضحة على وجه الرجل ، الذى هوى على الأرض دون حراك ، وسرعان ما اندفع أحدهم نحو زميله ، وقد هاله الأمر ، فاندفع (ممدوح) نحوه يدفعه بعيدًا ، قائلًا :

ـــ هل تريد أن تلقى حتفك أنت الآخر ؟ ألم تر ما حدث له ؟

قال العقيد (فتحى) ، وقد اتسعت عيناه من شدة الدهشة :

ـــ كيف حدث هذا ؟

أغمض (ممدوح) عينيه من الألم ، قائلًا :

ـــ لقد صدق ظنى .. هذا ما كنت أخشاه .

وتقدم العقيد (فتحى) من (ممدوح) ليقبض على ساعديه ، قائلًا :

ـــ أخبرنى يا (ممدوح) .. ما الذى يحدث ؟

ممدوح :

ـــ لقد استولى أحدهم على المركب الكيمائى ، الذى يدمّر الخلايا العصبية ويصيبها بالشلل ، والذى كان الدكتور (إبراهيم) يجرى أبحاثه وتجاربه عليه ، واستخدمه ضد المساعد (جمال) .

وحمل صوته قدرًا هائلًا من المرارة ، وهو يستطرد :

ـــ لقد بدأت الكارثة .

وارتجفت قلوب الجميع .

* * *

٤ ـــ الحلقة المفقودة ..

دخل (ممدوح) إلى حجرة اللواء (مراد) ، الذى انتهى لتوّه من إجراء اتصال هاتفى ، ودعاه اللواء (مراد) إلى الجلوس ، قائلًا :

ـــ آسف لاضطرارى قطع إجازتك ، ولكن الأمر لا يحتمل التأجيل ، خاصة وقد أضطرتك الظروف إلى التواجد فى قلب الأحداث بصورة مباشرة .

ممدوح :

ـــ كنت سأحضر بنفسى ، لو لم تستدعنى سيادتك إلى الحضور ، فالدكتور (إبراهيم) زميلى وصديقى ، ولم أكن لأتخلى عنه فى مثل هذه الظروف ، بعد ذلك الحادث الغامض ، الذى تعرّض له ، والذى أدى إلى مصرع زميلين لى أيضا .

اللواء (مراد) :

ـــ إنك تتحدث كما لو كنت متأكدًا من أن الدكتور (إبراهيم) ما زال على قيد الحياة .

ممدوح :

ـــ إننى واثق من ذلك ، فى الوقت الحالى على الأقل ، فالدكتور (إبراهيم) تعرّض لمحاولة اختطاف ، ولو أنهم أرادوا التخلص منه لفعلوا ذلك دون إبطاء ، فى معمله الكيمائى ، كما فعلوا مع المساعد (جمال) .

اللواء (مراد) :

ـــ لقد حدثك الدكتور (إبراهيم) عن المركّب الكيميائى ، الذى تم إحضار عيّنة منه ، بوساطة أحد رجالنا ، من معامل دولة (لوتشيا) المعادية .

ممدوح :

ـــ نعم .. وأخبرنى عن الأهوال التى يمكن أن يسبّبها ، والمصل الواقى الذى توصل إليه ، لمقاومة أضرار ذلك المركّب الكيمائى الذى ينوى الأعداء تحويله إلى (غاز) ، لاستخدامه على نطاق أوسع .

اللواء (مراد) :

ـــ إذن فلن أكون بحاجة إلى شرح ، عن خطورة هذا الغاز ، والكوارث التى يُمكن أن تنجم عن استخدامه ، إن هذا يعطيك فكرة واضحة عن السبب ، الذى اختطف من

أجله الدكتور (إبراهيم) .

ممدوح :

ــ لكن الدكتور (إبراهيم) عالم كبير ، وهناك أكثر من جهة يمكن أن تسعى لاختطافه ، والإفادة من خبراته العلمية ، لذا يجب ألا نقصر استنتاجاتنا على وجود علاقة بين اختطافه ، والتجارب التى كان يُجريها حول المركّب الكيميائى .

اللواء (مراد) :

ــ وما رأيك إذا كانت العينة التى أحضرناها ، ليجرى الدكتور (إبراهيم) تجاربه عليها ، قد اختفت من معمل الأبحاث الكيميائية التابع للإدارة ، ولا وجود لها فى معمله أيضًا .

بدا الاهتمام والتركيز واضحين على وجه (ممدوح) ، وهو يهتف ، قائلًا :

ــ اختفت ؟!

اللواء (مراد) :

ــ نعم .. وهذا مايعزّز استنتاجنا ، بالصلة التى تربط بين ذلك السائل الكيمائى ، واختفاء الدكتور (إبراهيم) ووزارة الدفاع تتساءل ، عما إذا كان الدكتور (إبراهيم) قد استولى على السائل الكيمائى لحسابه ، ولجأ إلى الهروب إلى

الخارج ؛ لتقديم خدماته فى هذا الشأن ، خاصة بعد كشفه للمصل الواق ، الذى يمكن أن يوقف آثار ذلك السائل الكيمائى .

وهبّ (ممدوح) واقفًا ، وبدا عليه الانفعال ، وهو يقول :

ــ كيف يمكن لأحد أن ينسب ذلك إلى الدكتور (إبراهيم) ؟

دعاه اللواء (مراد) إلى الجلوس مرة أخرى ، قائلًا :

ــ لا داعى للانفعال .. كلنا نعرف الدكتور (إبراهيم) بالطبع ، ونثق فى مدى وطنيته وولائه ، وقد أكدت لوزارة الدفاع أن هذا الاحتمال بعيد تمامًا عن الحقيقة ، ولكن فى مثل هذه الظروف لا يمكن أن تمنع الآخرين من أن تساورهم الشكوك .

ممدوح :

ــ لقد بدا واضحا ، من صوت الدكتور (إبراهيم) عبر الهاتف ، أنه يتعرّض إلى خطر داهم ، ويبدو أن أعداءه قد هاجموه ، قبل أن يوضّح لى حقيقة الأمر .

اللواء (مراد) :

ــ الاحتمال الأكبر هو أن الدكتور (إبراهيم) كان يأخذ

معه تلك العينة الكيميائية ، من معمل أبحاث الإدارة ، ليستكمل عليها تجاربه فى معمله الخاص ، الملحق بمنزله ، وأن هناك من علم بذلك ، وانتهز فرصة إحضاره لهذه العينة الكيمائية ، لمهاجمته والاستيلاء عليها ، ولكن السؤال يبقى ، إذا كان هدفهم هو الحصول على السائل الكيميائى ، فلماذا اختطفوا الدكتور (إبراهيم) ؟

ممدوح :

ـ أعتقد أن الذى قام باختطافه كان يهدف أساسًا إلى الحصول على المصل الواق ، الذى تمكّن الدكتور (إبراهيم) من كشفه وليس على السائل الكيمائى ، وهناك جهة واحدة بالطبع ، هى التى يهمها ذلك .

اللواء (مراد) :

ـ تقصد أولئك الذين اخترعوا المركّب الكيمائى نفسه .

ممدوح :

ـ تماما .. وعلى نحو أدق ، مخابرات (لوتشيا) ، فكشف الدكتور (إبراهيم) يمكن أن يفسد ، أو يقلل من تأثير المركّب الكيمائى ، الذى اخترعوه ، وبالتالى يهمهم اختطاف الدكتور (إبراهيم) ؛ لمحاولة التوّصل إلى مصله الواق ، وتعديل تجاربهم

وخططهم ، بناءًا على سر تركيبة ذلك المصل .

اللواء (مراد) :

ـ حسنا .. إذا كان هذا صحيحًا ، فلماذا استولوا على تلك العينة الصغيرة التى أحضرناها ؟ .. أعنى لماذا اهتموا بها ، وأخذوها معهم ، فى اثناء اختطافهم للدكتور (إبراهيم)؟ .. لست أظن أن معاملهم بحاجة لتلك العينة الصغيرة .

ممدوح :

ـ هذا السؤال أيضا يحيّرنى ، ولكن ربّما فعلوا ذلك ، حتى لا يبقى ذلك السائل الكيمائى تحت أيدينا ، ويتاح لشخص آخر معالجة آثاره المدمّرة ، على نحو أو آخر ، خاصة وهم يعلمون أننا لا نملك سوى تلك العينة .

اللواء (مراد) :

ـ هذا محتمل ، ولكن يتعيّن علينا الآن أن نتجاوز ما حدث ، ونبدأ التفكير فى مواجهته .. إن كل التقارير التى وصلتنى ، تؤكّد عدم مغادرة الدكتور (إبراهيم) للبلاد بمفرده ، أو بصحبة أحد الأشخاص ، ولكن لا يمكن الاعتماد على هذه التقارير وحدها بالطبع ، فهناك وسائل متعدّدة لمغادرة البلاد ، وتهريب رجل مثل الدكتور (إبراهيم) ،

بوسائل مبتكرة وطرق خفية ، إذن يجب أن يبقى أمامنا احتمالان ، أن يكون الدكتور (إبراهيم) مازال موجود داخل البلاد ، أو تم تهريبه خارجها ، وأن نكون مستعدين للاحتمالين .

ممدوح :

أعتقد أن شخصًا قريب الصلة بالدكتور (إبراهيم) ، له يد فى عملية اختطافه .. شخص يعلم بالتجارب التى يجريها الدكتور (إبراهيم) فى معمله الخاص ، ويعلم بوجود العينة الكيميائية ، وسر المصل الواقى فى المعمل ، فى ذلك اليوم ، كما أنه يعلم بمداخل ومخارج المنزل ، مما مكّنه من أن يتسلّل بمفرده ، أو يساعد آخرين على التسلل إلى المنزل ، لتنفيذ هذه العملية .. باختصار شخص يكون موضع ثقة الدكتور (إبراهيم) ، ويعرف الكثير عن أسرار عمله .

اللواء (مراد) :

ـ لقد فكّرت فى هذا الأمر أيضا ، وهناك بعض الأشخاص ممن هم قريبى الصلة بالدكتور (إبراهيم) ، سيتم وضعهم تحت المراقبة ، وإن كانت شكوكى تحوم أكثر حول شخص ، كان تلميذًا للدكتور إبراهيم ، ويعمل مساعدًا له ،

فى معمله الخاص ، وعلى الرغم من أن الدكتور (إبراهيم) حريص على أسرار عمله فى الإدارة ، إلا أننى لا أستبعد أن يكون شخص كهذا ، بحكم خبرته الكيميائية ، ومزاملته للدكتور (إبراهيم) قد تمكّن بطريقة أو بأخرى من الاطلاع على سر التجارب ، التى يجريها الدكتور (إبراهيم) ، حول المركَّب الكيميائى .

ممدوح :

ـ هذا افتراض جيد جدًا ، ما اسم هذا الكيميائى ؟ وأين هو الآن ؟

اللواء (مراد) :

ـ اسمه (شكرى عز الدين) ، ولقد تبين لنا أنه ترك العمل مع الدكتور (إبراهيم) منذ ثلاثة أسابيع ، والشئ الغريب أن أحدًا لم يعثر له على أثر ، منذ هذا التاريخ ، فقد اختفى بعد تركه العمل فى معمل الدكتور (إبراهيم) .. اختفى تمامًا .

وبرقت عينا (ممدوح) ..

لقد أمسك طرف الخيط ..

وبدأت مهمته بالفعل ..

* * *

٥ ـ المرأة المجهولة ..

ألقى (ممدوح) نظرة سريعة ، على المرآة الصغيرة ، المثبتة داخل سيارته ، ولم يعد يداخله شك فى أن هناك من يراقبه ، إذ كانت السيارة (الفيات) الصفراء فى أثره ، منذ غادر إدارة العمليات الخاصة ، خطوة بخطوة ..

ودار (ممدوح) بسيارته ، ليدخل بها شارعًا جانبيًّا يكاد يبدو مهجورًا ، وغادرها ، وسار على الرصيف المجاور لمبنى قديم ، يخلو من السكان ، ثم لم يلبث أن دار حول المبنى و... واختفى ..

وكانت السيارة الصفراء قد توقفت بدورها ، على مسافة قريبة من سيارته ، وغادرها أحد الأشخاص ، وأخذ يسير بخطوات سريعة فى أثره ، وما أن وصل إلى الجدار ، الذى اختفى خلفه (ممدوح) ، حتى فوجىء بهذا الأخير يبرز فجأة ، وهو يبتسم ، قائلًا :

ـ هل تبحث عنى ؟ إننى فى خدمتك .

وبدا أن هذا التعرف المفاجئ ، من جانب (ممدوح) قد ألجم الرجل ، فقد وقف يتطلع إليه برهة من الوقت ، ثم لم يلبث أن رفع يده إلى جيب سترته ، بحثًا عن شئ ، وقبل أن يجد بغيته ، كان (ممدوح) قد عاجله بلكمة قوية ، جعلته يصطدم بجدار المبنى القديم ..

وتمالك الرجل نفسه ، من أثر اللكمة ، محاولًا تسديد ركلة إلى جسد (ممدوح) ، ولكن هذا الأخير تفاداها ببراعة ، وهو يعاجله بلكمة أخرى ، جعلته يترنح من قوتها ، وهنا أمسك (ممدوح) ياقة سترته بيديه لينزلها من فوق أكتافه إلى مستوى ساعديه ، بحيث أصبح مقيدًا ، وجاءت اللكمة الثالثة لتطيح بالرجل أرضًا ، ثم جثا (ممدوح) إلى جواره والتقط من جيب سترته المدية ، التى كان ينوى استخدامها ضده ، وشهرها فى وجهه ، قائلًا :

ـ حسنا يا عزيزى .. يمكننا أن نتحدث على راحتنا هنا ، فهذا المكان مهجور تقريبًا ، ولن يسمعنا أحد .. لماذا كنت تتبعنى ؟

قال الرجل ، وهو ينظر إلى المدية فى يد (ممدوح) ، بشئ من الخوف والغضب .



وقبل أن يجد بغيته ، كان (ممدوح) قد عاجله بلكمة قوية ، جعلته يصطدم بجدار المبنى القديم ..

ـــ لقد كُلِّفت ذلك ، مقابل مبلغ من المال .

ممدوح :

ـــ حسنًا .. إنك تبدو مطيعًا متجاوبًا .. من الذى كلّفك هذا العمل؟

وأجابة الرجل :

ـــ سيِّدة أجنبية ، التقيت بها فى أحد الفنادق .

ممدوح :

ـــ وهل طلبت منك السيدة أن تراقبنى أنا بالذات ؟

وردّ عليه الرجل :

ـــ نعم .

ممدوح :

ـــ ولكن لماذا؟

اعتدل الرجل فى جلسته ، قائلًا وهو ينفض التراب عن نفسه :

ـــ هذا ما لا أعرفه ، ولا شأن لى به .. لقد طلبت منى تلك السيِّدة أن أراقب تحركاتك ، وأقدّم لها تقريرًا يوميًا بذلك ، مقابل مبلغ من المال ، ولقد وافقت .

قال (ممدوح) ساخرًا :

ــ أسلوب مربح فى العمل .. حسنًا كم دفعت لك تلك السيِّدة ، مقابل أن تتولى أمر مراقبتى .

تأهب الرجل للنهوض ، قائلًا :

ــ ليس هذا من شأنك .

ولكن ممدوح جذبه من ياقة سترته ، ليجبره على الجلوس أرضًا مرة أخرى ، وهو يقول :

ــ قلت أنك مطيع متجاوب ، فلا تدعنى أغيِّر رأيى ، وإلا غضبت ، وإذا غضبت عادت اللكمات تنهال عليك من جديد .

قال الرجل ساخطًا :

ــ حسنًا .. لقد دفعت لى خمسمائة جنيه مقابل ذلك .

وقف (ممدوح) يساعد الرجل على النهوض ، قائلًا :

ــ ما رأيك لو دفعت لك ألف جنيه ، مقابل معرفة تلك السيِّدة ؟ .

قال الرجل متردِّدًا :

ــ ولكن ...

ولكن (ممدوح) قاطعه ، قائلًا :

ــ ليس هناك ما يدعوك إلى التردّد ، فهى كما ترى صفقة رابحة .

بقى الرجل على تردّده ، ثم قال :

ــ هذه السيدة تبدو خطرة ، وقد تتسبَّب فى الإضرار بى ، لو فعلت ذلك .

أعاد (ممدوح) المدية إلى جيب الرجل ، قائلًا :

ــ حسنًا .. يمكن اعتبار العرض لاغيًا ، ما دمت لا ترغب فى ذلك ، ولكنى أُحذِّرك من محاولة تتبعى مرة أخرى ، فأنا لا أحب أن أرى خلفى المتطفلين من أمثالك .

وتحرك (ممدوح) بعيدًا عن الرجل ، بعد أن أولاه ظهره ، لكن نادى عليه قائلًا :

ــ أنتظر .

والتفت إليه (ممدوح) ، واقترب منه الرجل ، قائلًا :

ــ هل أنت جاد ، بشأن المبلغ الذى عرضته ؟

ممدوح :

ــ طبعًا .

تلفّت الرجل حوله قليلًا ، ثم قال :

ــ حسنًا .. يمكننى أن أجعلك تراها ، لو حضرت إلى فندق (ماريوت) غدًا ، فهى تقيم هناك .

(ممدوح) :

ـ سأكون موجودًا فى الثامنة صباحًا .

واستعد (ممدوح) للانصراف بعيدًا عن الرجل ، ولكنه استوقفه قائلًا :

ـ وماذا بشأن المبلغ الذى عرضته ؟

قدم له (ممدوح) مائتى جنيه ، قائلًا :

ـ الباقى سأدفعه غدًا ، عندما تشير إلى تلك المرأة .

ثم غمز بعينه ، مستطردًا :

ـ وأرجو أن تكون جميلة ، حتى تستحق المبلغ .

واستقل سيارته مبتعدًا عن المكان ، ثم أدار مؤشرًا صغيرًا ، فى جهاز الاستقبال اللاسلكى داخل سيارته ، وهو يحرص على تتبع سيارة الرجل ، من مسافة بعيدة إلى حد ما ، وبعد قليل تحقق ظنه تمامًا ..

لقد غادر الرجل السيارة ، وتوجه إلى كبينة الهاتف ؛ ليجرى اتصالًا هاتفيًا ، وبوساطة جهاز الإرسال الدقيق ، الذى ثبته (ممدوح) فى ياقة سترته أثناء صراعه معه ، سمعه يتحدث قائلًا :

ـ ألو .. السيدة (جوليا) .. لقد تحقق الهدف

المطلوب ، وسيأتى إلى الفندق غدًا .

ولم يكن (ممدوح) بحاجة إلى أن يسمع أكثر ، فقد أيقن منذ البداية أن الرجل يحاول أن يقوده إلى فخ ، وهو يحب ذلك النوع من الفِخاخ ، التى يذهب إليها مفتوح العينين .. هذا أفضل ..

* * *

استقبل الرجل (ممدوح) ، فى ردهة الفندق ، قائلًا :

ـ هل أحضرت النقود ؟

لوَّح له (ممدوح) بالنقود ، قائلًا :

ـ دعنا نرى حسناءك أوَّلًا .

اصطحبه الرجل إلى حوض السباحة ، التابع للفندق ، وأشار إلى فتاة رائعة الجمال ، تسبح ببراعة فى حوض السباحة ، قائلًا :

ـ ها هى ذى .

نظر (ممدوح) إلى الفتاة مليًّا ، ثم ارتسمت على وجهه ابتسامة ، وقال وهو يمد يده بالنقود إلى الرجل :

ـ هاهو ذا المبلغ المتفق عليه .. إنك تستحقه .

وضع الرجل النقود فى جيبه سريعًا ، دون أن يحصيها ،

قائلًا :

ــ حسنًا .. مهمتى انتهت عند هذا الحد .

ثم أسرع بمغادرة المكان ، فى حين بقى (ممدوح) يراقب الفتاة ، فى أثناء ممارستها للسباحة ، وما أن غادر الرجل بوابة الفندق ، واستعد لركوب سيارته ، حتى وجد شخصين يندفعان معه إلى داخل السيارة ، وقبل أن يقدم على أى تصرّف ، أبرز له أحدهما شارة الشرطة ، فى حين دسّ الآخر فى جانبه ماسورة مسدسه المعدنية ، وقال الشخص الذى أبرز شارة الشرطة :

ــ إننى ألقى القبض عليك ، قد السيارة ، وسنرشدك إلى الطريق .

قال محتجًا :

ــ وما هى تهمتى ؟

وضع الشرطى الذى كان يصوب مسدسه إليه ، يده فى جيبه ، ليخرج المبلغ الذى قدمه له (ممدوح) قائلًا :

ــ بتهمة حيازة نقود مزيّفة .

نظر الرجل إلى الشرطى ، وإلى النقود فى يده ، مذهولًا ، وكادت المفاجأة تصعقه ، وهو يردّد :

ــ مزيّفة ؟! كيف ؟

قال الشرطى متهكّمًا :

ــ هذا ما سيتعين عليك شرحه فى التحقيق .

قال الرجل بكلمات مضطربة :

ــ ولكن هذه النقود ليست نقودى .. إنها .. إنها ..

قال الشرطى ، الذى يجلس إلى جواره ، وهو يضغط بفوهة مسدسه على جانب الرجل :

ــ قلت لك اشرح ادعاءاتك فى التحقيق ، والآن هيا قد السيارة ، والتزم بالطريق الذى سنرشدك إليه .

قاد الرجل السيارة ، وقد أدرك أنه وقع ضحية الخدعة ، التى أعدّها له (ممدوح) ..

وفى أثناء ذلك ، كانت الفتاة قد غادرت حوض السباحة ، متجهة نحو المظلة القائمة أمامه ، وأخذت تبحث عن المنشفة الخاصة بها ، لكى تجفّف جسدها ، ولكنها لم تجدها فى مكانها ، فوقفت حائرة ، تتساءل عن سر اختفائها ..

وفجأة امتدت يد من خلفها بالمنشفة تقدّمها لها ، فاستدارت فى دهشة ، لتجد أمامها (ممدوح عبد الوهاب) ، وهو يقدم إليها المنشفة ، وعلى وجهه تلك الابتسامة الجذّابة ، قائلًا :

ــ هل تبحثين عن هذه ؟

امتدت يد الفتاة تلتقط منه المنشفة ، وقد تحوّلت دهشتها إلى نوع من الغضب المفتعل ، قائلة :

ــ أأنت معتاد دائمًا على الإستيلاء على مناشف الآخرين ؟

قال (ممدوح) مازحًا :

ــ أعتقد أن جرمى أهون ، إن أن الإستيلاء على مناشف الآخرين لا يسبب الكثير من المشاكل ، أما أنت فمن يستولون دائمًا على قلوب الآخرين ، وربّما من النظرة الأولى ، وهذه هى المشكلة الحقيقية .

ابتسمت الفتاة ، قائلة :

ــ أنت إذن ممن يجيدون الغزل .

ممدوح .

ــ إننى أقرّر حقيقة ، ففتاة لها مثل هذا الجمال ، لا بد أنها قد استولت على الكثير من القلوب ، وحطّمتها .

وتوقّف عن الحديث لحظة ، حتى انتهت الفتاة من تجفيف جسدها ، وارتداء روب قصير ، ثم قال :

ــ لقد علمت أنك خصصت أحد الأشخاص لمراقبتى ، وتتبع خطواتى ، فقرّرت أن أختصر عليك الوقت والنفقات ، وأن آتى إليك بنفسى ، والآن أخبرينى هل تفعلين ذلك رغبة فى

الاستيلاء على قلبى ؟

أجالت الفتاة النظر فى وجهه برهة ، ثم قالت بهدوء :

ــ اسمى جوليا هل تتفضل بالجلوس ؟

أطاعها ممدوح ، وهو يجلس على المقعد الخشبى المواجه لها ، أسفل المظلّة :

ــ بكل سرور .

قالت الفتاة ، وهى تضع ساقًا فوق أخرى :

ــ أنت صديق الدكتور (إبراهيم) .. أليس كذلك ؟

أجابها بهدوء ، وقد أحسّ أنه بات قريبًا من الهدف :

ــ بلى .. ولكن الدكتور (إبراهيم) ...

قاطعته ، قائلة :

ــ اختطف بوساطة بعض الأشخاص .. أعرف ذلك .

قال (ممدوح) ، وهو يحدجها بنظرة ثاقبة :

ــ يبدو أنك تعرفين الكثير ، فيما يتعلق بهذا الأمر .

سألته دون أن تتيح له المزيد من الاستطراد .

ــ ألم يخبرك الدكتور (إبراهيم) أننا كنا خطيبين ؟

وكانت هذه هى المفاجأة ..

* * *

٦ — اللعبة ..

على الرغم من دهشته ، قال (ممدوح) ، دون أن يبدو عليه أى انفعال :

— لا أعتقد أن الدكتور (إبراهيم) أخبرنى بشئ كهذا أبدًا .

قالت الفتاة ، وهى تنظر إلى حوض السباحة :

— معه حق ؛ فقد مضى على ذلك وقت طويل .. لقد تعارفنا أثناء دراسته فى الولايات المتحدة ، وتمت الخطبة بيننا هناك ، ولكن لظروف – لا داعى لشرحها – لم يقدّر لهذه الخطوبة أن تستمر ، وأن ينتهى الأمر بيننا بالزواج ، وعلى الرغم من ذلك فقد استمرت بيننا صداقة قوية لم تنقطع ، وكنا نلتقى من آن لآخر ، ونتراسل دائمًا ، إلى أن أرسل إلىّ رسالته الأخيرة ، منذ عدة أيام ، يطلب فيها منى الحضور إلى (القاهرة) ، وبدا من خطابه أنه يشعر بخطر ما ، ويريد أن يطلعنى عليه ، وأنه لا يستطيع أن يكتب لى بشأنه فى الخطاب ،

وعندما حضرت إلى (القاهرة) .. علمت بنبأ اختطافه ، وتحقق ذلك الخطر الذى كان يستشعره ، والذى بدا واضحًا فى رسالته الأخيرة .

ممدوح :

— وكيف علمت أنه قد اختطف على وجه التحديد ، ولم يتعرّض لأى مكروه آخر ؟

جوليا :

— لأننى تعرّضت لنفس الشئ .. يبدو أن أولئك الأشخاص ، الذين اختطفوه ، كان يعلمون الكثير عنه ، ويعرفون علاقته الحميمة بى ، ويبدو أنهم على درجة عالية من الخطورة ، ولا يتورّعون من ارتكاب أى فعل ، فبعد يومين فقط من وصولى إلى (القاهرة) ، تمكّنوا من اختطافى ، بعد أن أفقدونى الوعى ، وعندما عُدت إلى الوعى ، وجدت نفسى مقيّدة فى إحدى الحجرات ، وجاء أحدهم وطلب منى التأثير على الدكتور (إبراهيم) ، لكى يسلمهم شيئًا ما يريدونه ، أو يعاونهم فى الحصول عليه ، وأخبرونى أن ذلك سيكون مقابل إنقاذ حياته وحياتى ، وإلا فالموت مصيرنا نحن الاثنين ، وبعد قليل أحضروا (إبراهيم) وتركونا بمفردنا فى تلك الحجرة

المغلقة ، بعد أن أمهلونا نصف ساعة ، لكى يقدم لهم (إبراهيم) ما يحتاجونه ، ولكن (إبراهيم) أخبرنى أنه لن يقدّم لهم ذلك الشئ الذى يريدونه أبدًا ، والذى علمت أنه نوع من الأمصال الواقية من السموم ، أوما شابه ذلك ، مهما عذبوه أو هدّدوه بالموت ، ولكن الشئ الذى يخشاه هو ما يمكن أن يحدث لى أنا ، على أيدى هؤلاء الأشرار ؛ لذا لجأ إلى استخدام الحيلة والمساومة ، فأخبرهم أنه مستعد للتعاون معهم ، فى إعداد ذلك المصل الواقى الذى يريدونه ، مقابل إطلاق سراحى ، وعندما رفض رئيسهم الموافقة على ذلك أبدى عنادًا وإصرارًا ، قائلًا : إنه لن يتنازل عن ذلك الشرط ، وإلا فلن يحصلوا منه على أى شئ ، حتى لو كان الثمن هو حياته وحياتى ، وإزاء إصراره ، وافق رئيسهم على إطلاق سراحى ، بعد أن أخبره بأنهم يستطيعون إحضارى إلى مقرّهم فى أى وقت يرغبونه ، لو لم يجد تعاونًا حقيقيًّا ، وكان (إبراهيم) قد طلب منى ، قبل إطلاق سراحى ، أن أسعى للاتصال بك ، وأن أفتح عينى جيدًا فى أثناء العودة ؛ لتحديد المكان الذى اختطفوه فيه ، بعد أن قدّم لى عقارًا مضادًا للتخدير ، تحسبًا لقيامهم بتخديرى فى أثناء رحلة العودة ، كما فعلوا فى أثناء إحضارى ،

وطلب منى أن أكون حذره فى الاتصال بك ، بحيث أتأكّد من حقيقة شخصيتك ، وألا أسعى للاتصال بك لو كنت مراقبة من جانب هؤلاء الأشرار .

أكمل (ممدوح) :

ــ لذا كلّفت ذلك الرجل مراقبتى ، للتأكّد من أننى الشخص المطلوب .

وأكملت الفتاة ، قائلة :

ــ وكنت أنوى الاتصال بك بالفعل ، بعد أن أيقنت من ذلك ، وفى اللحظة المناسبة .

ممدوح :

ــ أرجو أن تكون هذه اللحظة هى المناسبة .

ونظرت الفتاة خلفه ، قائلة بشئ من الهمس :

ــ لا أعتقد ذلك ، فهناك شخصان يراقباننا فى الركن .

قال لها (ممدوح) ، دون أن يحرّك ساكنًا .

ــ لا تقلقى بشأنهما ، فأنا خبير بالتخلص من رقابة المتطفلين .. المهم أن تكونى محتفظة فى ذاكرتك بذلك المكان ، الذى أخذوك إليه ، فهذا يساعدنا كثيرًا .

قالت الفتاة ، وهى تنظر إلى الرجلين :



قال لها (ممدوح)، دون أن يحرِّك ساكناً:
ـــ لاتقلقي بشأنهما ، فأنا خبير بالتخلص من رقابة المتطفلين ..

ـــ اطمئن فأنا لى ذاكرة قوية ، وأستطيع أن أقودك إلى ذلك المكان متى أردت ؟ .. متى تحب أن أفعل هذا ؟

ممدوح :

ـــ الآن .. فلا وقت لدينا نضيعه ، مادامت حياة الدكتور (إبراهيم) فى خطر .

جوليا :

ـــ ولكن هذين الشخصين .

ممدوح :

ـــ قلت لك : لاتقلقى بشأنهما .

نهضت الفتاة ، قائلة :

ـــ حسنًا .. سأصعد إلى غرفتى لأستبدل ثيابى .. ثم نذهب معًا .

ممدوح :

ـــ أرجو أن تسرعى .

وقال لنفسه ، وهو يراقبها فى أثناء ابتعادها :

ـــ قصة محبوكة .. لكنها لم تنجح فى إقناعى .

ثم نظر خلفه ، واستقرّت عيناه على الشخصين اللذين يراقبانه ، قائلًا :

— أعتقد أن هذين الشخصين أيضا يدخلان ضمن عناصر القصة ، حتى تكون أكثر حبكة ، إذ يجب أن تبدو الفتاة وكأنها مراقبة رقابة دقيقة ، من جانب تلك العصابة ، التى اختطفت الدكتور (إبراهيم) وحتى يبدو ذلك أكثر إقناعًا بالنسبة لى .

وصمت قليلًا ، ثم قال وهو يتطلع إلى الرجلين :

— ومع ذلك سألعب معها لعبتها .

فتح باب السيارة للفتاة ، بعد أن استبدلت ملابسها ، ولكنها توقّفت قليلًا أمام الباب المفتوح ، وهى تنظر خلفها ، ثم قالت هامسة :

— أهناك من يتبعك؟

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

— بالطبع .. هذان اللذان أثرت انتباهى لهما .

قالت ، وهى تعيد النظر فى المكان حولها :

— لا أقصد هذين الرجلين ، وإنما أعنى هل هناك آخرون ، ممن يعملون معك ، يعلمون بأمر وجودك هنا ، ويقومون بمتابعتك بصورة سرّية؟

أدرك مقصدها ، فقال :

— تقصدين زملائى فى الإدارة .. لا لقد جئت إلى هنا بمفردى ، ودون إعلامهم .

بدا على الفتاة شئ من الارتياح ، وهى تسمع ذلك ، ودلفت إلى السيارة ، التى أدار (ممدوح) محرّكها ، وهو يراقب سيارة الشخصين الآخرين من خلال المرآة ، وتصنّعت الفتاة القلق ، قائلة :

— ولكن .. ألم يكن من الأفضل أن يكون هناك من يتبعنا ، للعمل على حمايتنا فى الوقت المناسب؟

ممدوح :

— أطمئنى .. يمكنك أن تضعى ثقتك فى ، فأنا أجيد العمل بمفردى ، ثم أن وجود آخرين يتبعوننا قد يثير انتباه أفراد العصابة ، التى اختطفت الدكتور (إبراهيم) ، ويشعرهم بالخطر ، وقد يدفعهم ذلك إلى العمل على التخلّص منه .

جوليا :

— معك حق .

ممدوح :

— ومع ذلك فإننى لا أراك قلقه بشأن هذين الشخصين ، اللذين يتبعاننا على الرغم من تحذيرك لى منهما .

قالت الفتاة ، وهى تنظر خلفها :

ـــ أعتقد أن المرء لا يشعر بالقلق ، مع وجود رجل مثلك ، ثم أنك أخبرتنى إنك خبير بالتخلص من أمثال هؤلاء .

ممدوح :

ـــ قد بدأت تظهرين ثقتك بى ، وهذا يُسعدنى ؛ لذا سأعمل على أن أثبت لك أن ثقتك فى محلها ، نظرت الفتاة إلى الطريق أمامها ، قائلة بدهشة :

ـــ ولكن أين تذهب ؟ ليس هذا هو الطريق الذى حدّدته لك !

ممدوح :

ـــ أعلم ذلك .. إننى سأعمل فقط على تضليل هذين المتطفلين :

نظرت (جوليا) إلى الطريق المتعرِّجة ، التى أخذ (ممدوح) يسلكها ، بقلق ، وهى تنظر تارة إلى الطريق أمامها وتارة إلى السيارة التى تتبعهما من الخلف ، وآثار انتباهها قيام (ممدوح) بتناول قداحة ، حيث أدار زرًّا صغيرًا مثبتًا فى غطائها العلوى ، ليستخدمها كجهاز لاسلكى ، مردِّدًا :

ـــ من رقم ٧٠ إلى رقم ١٨ هل تسمعنى ؟

جاءه الرد على صورة ذبذبات متتالية ، تصدر صفيرًا متقطعًا ، ثم لم يلبث أن ، قال :

ـــ إننى متجه إلى المربع الرمادى .. هناك سيارة تتبعنى .. أرجو اتخاذ اللازم .

وجاءه الرد أيضًا على صورة ذبذبات وصفير متقطع ، وعلى الأثر أغلق (ممدوح) جهاز اللاسلكى ، ونظرت إليه الفتاة ، وعيناها تنطقان بالدهشة ، قائلة :

ـــ ماهو المربع الرمادى هذا ، الذى كنت تتحدث بشأنه ؟

رد عليها (ممدوح) بابتسامة ثقة ، قائلًا :

ـــ ستعرفين حالًا .

ثم أطلق العنان لسيارته لتنهب الأرض نهبًا ، غير عابئ بإشارات المرور ، وقد اتسعت المسافة بينه وبين السيارة المطاردة ، ثم انحرف بها فجأة نحو بناية ضخمة ، فصرخت (جوليا) :

ـــ احترس .. سنرتطم بها .

ولكنه لم يتوقف ..

* * *

٧ ــ عودة الشيطان ..

تصوَّرت (جوليا) وهلة ، أن السيارة سترتطم بالبناية فى عنف ، ولكن فجأة انفتح أمامها باب (جراج) كبير ، له مدخلان متقابلان واندفعت السيارة داخل (الجراج) ، الذى كان مفتوحًا من الجانبين ، حيث استقرّت فوق مساحة من الأرض فى الهبوط إلى أسفل ، كاملة فوقها سيارة (ممدوح) ، والفتاة التى استولت عليها حالة من الدهشة والذهول ، وانتهى الأمر بالسيارة إلى سرداب سرّىّ سفلى ، فى اللحظة التى تحركت فيها مساحة معدنية شبيهة بأرض (الجراج) ؛ لتغطّى الفجوة التى تخلّفت عن هبوط المربع الأرضى الذى يحمل السيارة داخل السرداب ، وسألته الفتاة بصوت ينم عن الرهبة :

ــ ما هذا الذى يحدث ؟

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

ــ لا شئ .. إننا نضلل مطاردينا بعض الوقت ، فهناك

بعض الأماكن السرية ، التابعة للمكتب (١٩) ، نستغلها فى تضليل الأعداء ، والمناورة تبعًا للظروف ، ومن بينها ذلك (الجراج) الذى دخلناه .

وفى أثناء ذلك ، كانت السيارة المطاردة قد اندفعت داخل (الجراج) ، وقام راكباها يتفحّصه من الداخل ، وعندما تبيّن لهما عدم وجود سيارة (ممدوح) ، استأنفا سيرهما ، عبر المدخل الآخر ، وما أن ابتعدا ، حتى عادت السيارة ترتفع من جديد ، فوق سطح الأرض ، ليخرج بها (ممدوح) من الجهة الأخرى ، مواصلًا طريقه ، وهتفت الفتاة فى انبهار :

ــ شئ مذهل .

قال (ممدوح) بهدوء :

ــ ألم أقل لك إنه يمكنك أن تثقى بى ؟ والآن يمكنك أن ترشدينى إلى الطريق .

وصلت بهما السيارة إلى منطقة نائية ، وأشارت الفتاة نحو فيلا منعزلة ، قائلة :

ــ هذه هى الفيلا ، التى يحتجزون فيها الدكتور (إبراهيم) .

تناول (ممدوح) من علبة سجائره سيجارتين ، قدّم إحداهما إلى الفتاة ، ووضع الأخرى فى فمه ، قائلًا وهو يشعل سيجارتها :

ـــ عظيم .. أشكر لك مساعدتك القيمة .

أخذت الفتاة نفسًا طويلًا من سيجارتها ، غابت إثره عن الوعى ، فاستطرد (ممدوح) ، وهو ينظر إليها :

ـــ وأرجو لك نومًا هنيئًا .

وغادر سيارته ، وأكمل طريقه نحو الفيلا سيرًا على الأقدام ، فى محاذاة الأشجار القائمة على جانب الطريق ، والتى اتخذ منها ساترًا لإخفاء نفسه عن الأنظار ، حتى وصل إلى السور المحيط بالفيلا ، فتناول من حقيبة جلدية صغيرة أحضرها معه ، عددًا من المستطيلات المعدنية الصغيرة ، فى حجم القدم ، تنتهى بحراب حادة مدبَّبة ، وبسرعة البرق قام بتصويب تلك الحراب البارزة ، والمتصلة بالمستطيلات المعدنية ، إلى السور الخشبى المحيط بالحديقة ، لتنغرز فيه على مسافات متقاربة ، فى ترتيب رأسى ، واندفع يعتلى السور الخشبى ، وهو يرتكز بقدميه على المستطيلات المعدنية ، متخذاً منها سلمًا يقوده إلى حافة السور ، ثم قفز من فوق

السور إلى الفناء المحيط بالفيلا ، معتمدًا على مرونته ، على الرغم من الارتفاع النسبى للسور ، واستقرّ على الأرض ، ولمح رجلين مسلحين يتجولان فى الفناء المحيط بالفيلا ، وهما يتطلعان إلى المكان حولهما ، فأخذ يسير بخفة ، دون أن يُسمع لقدميه أدنى صوت ، محاولًا تجنّبهما ، حتى اقترب من الجدار الخلفى للفيلا ، وهمّ بالقفز نحو الشرفة القريبة من الأرض ، ولكن صوتًا أجش حال بينه وبين ذلك ، قائلًا :

ـــ قف مكانك وارفع يديك عاليًا ، وإلا التهب رأسك بالرصاص .

استدار (ممدوح) فى مواجهة غريمة ، رافعًا يديه إلى أعلى ، وجد شخصًا ثالثًا يصوِّب إليه فوهة بندقيته الآلية ، وقد أطلّت من عينيه نظرة باردة ، لقاتل يجيد عمله ، وقال له الرجل بنفس البرود :

ـــ لا أعرف كيف دخلت إلى هنا ، ولكننى أعرف جيدًا أنك لن تخرج من هذا المكان ، إلا إلى القبر ..

قال (ممدوح) ساخرًا ، وهو يخطو فى اتجاهه ، محتفظًا بيديه عالية :

ـــ حسنًا .. دعنى أعطى لك عنوان قبرى ، حتى لا تخطئ المكان .

ولمح بطرف عينيه عددًا من أصيص الزهور ، تراصت متجاورة داخل حوض معدنى ، يرتفع قليلًا عن حافة إحدى النوافذ الخلفية ، فى جدار الفيلا ، فأرخى يديه قليلًا إلى مستوى صدره ، فى حين قال له الرجل :

ـــ اطمئن سأحرص على أن أدفنك بنفسى ، وفقًا لرغبتك الأخيرة .

وبسرعته المعهودة ، التى تشبه الوميض ، تناول (ممدوح) أصيص زهور ليقذف به وجه الرجل بقوة ، وقبل أن يلجأ الرجل إلى استخدام سلاحه ، انقضّ عليه (ممدوح) ممسكًا البندقية الآلية فى يده ، وجذبها منه بقوة ، منتهزًا فزع الرجل ، من أثر تحطّم أصيص الزهور فى وجهه ، ثم عاجله بضربة قويّة من مؤخرتها ، أطاحت به أرضًا ، ولكن قبل أن يخطو خطوة واحدة من مكانه ، وجد نفسه محاصرًا من ثلاثة أشخاص مسلّحين ، وقد أحاطوا به من كل جانب ..

ولم يجد بدًّا من الاستسلام .. وتقدّمت (جوليا) مخترقة الحصار المسلح ، المضروب حول (ممدوح) ، والتقطت علبة سجائره من جيبه ، وتناولت إحداها لتقدمها له ، قائلة :

ـــ أظن تلك السيجارة ، ذات العلامة الخضراء المميّزة

بين سجائرك ، هى التى تساعد فى التغلّب على الأرق . ثم تناولت القدّاحة لتشعل له السيجارة ، قائلة :

ـــ هيا .. خذ نفسًا عميقًا من سيجارتك أيها المقدّم .

ولم يجد (ممدوح) بدًّا ، أمام النظرات الشرسة ، وفوهات الأسلحة المحيطة به ، إلا الرضوخ ، فأخذ نفسًا عميقًا من سيجارته المخدّرة ، تهاوى على أثرها فاقد الوعى ، فابتسمت الفتاة ، قائلة وهى تقرّب دخان السيجارة من أنفه :

ـــ والآن نومًا هنيئًا لك يا عزيزى .

ثم نظرت إلى الرجال المسلحين ، قائلة بلهجة آمرة هذه المرة :

ـــ هيا .. انقلوه إلى الداخل .

وتولى الرجال الثلاثة نقله إلى داخل الفيلا .. وسقط البطل ..

* * *

أستردّ (ممدوح) وعيه ، وشعر بثقل شديد فى رأسه ، من تأثير المخدّر ، وحاول أن يحرّك ذراعيه ، فوجد نفسه مقيدًا إلى المقعد الجالس عليه ، وسمع صوتًا ، يقول :

ـــ لا داعى للمحاولة .. لقد أحكموا قيدك ، كما فعلوا معى .

هتف (ممدوح) :
ـــ دكتور (إبراهيم) ؟!

قال الدكتور (إبراهيم) ، وهو يفتعل ابتسامة باهتة :
ـــ يؤسفنى أن زججت بك فى كل هذا يا (ممدوح) .

نظر (ممدوح) إلى وجه الدكتور (إبراهيم) فهاله ما رأى ..
كانت هناك عشرات من الكدمات والجروح فى وجهه ، مما يدل على أنه قد تعرّض للتعذيب ، وقال له (ممدوح) بأسى ، وهو ينظر إلى وجهه .

ـــ ماذا فعلوا بك ؟

الدكتور (إبراهيم) :
ـــ كما ترى .. لقد لجئوا .. لكل وسائل التعذيب معى ، لكى يجبرونى على تقديم سر المصل الواقى ، ولكننى تحمّلت كل وسائلهم ، ولم يظفروا منى بشىء ، ولكن الذى آلمنى أكثر هو الخيانة ، خيانة أحد تلاميذى لى ، ومعاونته لتلك الحفنة من الجواسيس أعداء بلدى .

وسأله (ممدوح) :
ـــ أهم عملاء مخابرات (لوتشيا) ؟

وفى تلك اللحظة فُتحَ باب الحجرة ، ودلفت منه (جوليا) ، وبصحبتها شخص آخر ، تقدّم نحو (ممدوح) ، وفى عينيه نظرة انتصار ، وعلى وجهه ابتسامة ساخرة ، قائلًا :



نظر (ممدوح) إلى وجه الدكتور (إبراهيم) فهاله ما رأى :
كانت هناك عشرات من الكدمات والجروح فى وجهه ..

— نعم ياسيادة المقدّم لقد جئتنا لنردّ لكم الصفعة صفعتين ، ونسترد عينة السائل الكيمائى ، الذى استوليتم عليه من معاملنا ، ونأخذ بالإضافة إليه المصل الواق من هذا السائل ، الذى تمكّنا من تحويله إلى غاز ، والذى توصّل إليه عالمكم الدكتور (إبراهيم) .

وحدق ممدوح فى الرجل ، هاتفًا :

— (سكوت)(*) ؟!

ابتسم الرجل وهو يجلس فى المقعد المواجه لمقعدى (ممدوح) والدكتور (إبراهيم) قائلًا :

— الكولونيل (جيمى سكوت) من إدارة مخابرات (لوتشيا) .

ابتسم (ممدوح) بسخرية ، قائلًا :

— لم أكن أعرف أن اللصوص يتبوءون مثل تلك المناصب الهامة فى (لوتشيا) .

قال (سكوت) ، وقد ارتسمت على وجهه ملامح الغضب :

(*) اقرأ العدد (٤) لعنة الملك الصغير حيث دار صراع بين (ممدوح) و(سكوت) ، من أجل استرداد اثار الملك (توت عنخ مون) .

— اللص الذى خدعته فى الماضى ، استطاع أن يأتى بك إلى هنا ياسيادة المقدم ، وهأنتذا تجلس الآن أمامه ، مكبّلًا بالقيود ، وأستطيع بإشارة واحدة من يدى ، أن أقصيك عن الحياة إلى الأبد .

وهدأت ثائرته قليلًا ، وهو يتراجع بظهره إلى الوراء ، مستطردًا :

— ولكننى لم أعد الآن المليونير اللص الذى تعرفه ... لقد ساعدتنى مخابرات (لوتشيا) على الهروب من السجن ، وأنا الآن رجل مسئول فى ذلك الجهاز ، ومن أجل ذلك سأنسى خلافى الشخصى معك ، وأعلن لك أننى مستعد لأن أفتح معك صفحة جديدة ، لو تعاونت معى .

قال (ممدوح) ، وتلك الابتسامة الساخرة مازالت تتراقص على شفتيه :

— وما هو نوع التعاون ، الذى تريد أن أتعاون به معك ؟

قال (سكوت) بصوت أقرب الى الفحيح :

— المصل الواق .

(ممدوح) :

— لست أفهم .

سكوت .

ـ أُريد المصل الواق ، الذى تمكّن الدكتور (إبراهيم) من إعداده .. أريده بأى ثمن ..

وكانت مفاجأة لـ (ممدوح) ..

مفاجأة حقيقية .

* * *



٨ ـ الهروب من الشيطان ..

مضت لحظات من صمت ثقيل ، قبل أن يقول (ممدوح) :

ـ وهل تظن أننى أحتفظ به؟

سكوت :

ـ سواء أكنت تحتفظ به ، أو تحتفظ بطريقة تركيبه ، أو لا تعرف شيئًا عنه بالمرة ، فلدى معلومات وافية ، عن الصلة الوطيدة التى تربط بينك وبين ذلك الرجل ، وأنك كنت آخر شخص اتصل به ، قبل أن نقوم باختطافه من معمله ، وأنك أيضًا الذى تسعى لإنقاذه ، فإذا كنت حريصًا على حياته وحياتك حقًّا ، فأعطنا سر تركيبة المصل الواق ، أو أقنع صديقك بتقديمها لنا ، وإلا فسأنهى حياتكما معًا .

ثم نظر إلى كل من (ممدوح) والدكتور (إبراهيم) ، مستطردًا :

ـ سأمنحكما ثلث ساعة ؛ للتفكير والتشاور فيما بينكما ، وبعد ذلك إما أن أحصل على المصل الواق ، أو أقوم

بتنفيذ الخطة البديلة للعملية ، وتتضمّن القضاء عليكما فى الحال .

ثم صخب الفتاة ، وانصرف مغادرًا الحجرة ، والتفت (ممدوح) إلى الدكتور (إبراهيم) ، قائلًا :

ــ ما رأيك فيما قاله ؟

الدكتور (إبراهيم) :

ــ ما رأيك أنت ، .. لا أعتقد أننى سأسمح لهم بالحصول على المصل الواقى .

ممدوح :

ــ وأنا أيضًا لن أسمح لهم بقتلك .

الدكتور (إبراهيم) :

ــ هل تظن أنهم سيفعلونها ؟

ممدوح .

ــ سيفعلونها لو تأكّد لهم عدم حصولهم على المصل الواقى ، فمهمة ذلك الرجل تتضمّن التخلّص منك ، على الأقل فى حالة عدم قدرتهم على الحصول على المصل الواقى ، حتى يضمنوا حرمان (مصر) من عالم كبير مثلك .

وفى تلك اللحظة فُتحَ باب الحجرة ، ليدخل منه مساعد

الدكتور (إبراهيم) ، الذى كان يساعده فى تجاربه المعملية فى منزله ، وما أن رآه الدكتور (إبراهيم) حتى ارتسمت على وجهه ملامح الغضب ، وهو يهتف :

ــ (شكرى)؟! ما الذى جاء بك إلى هنا ؟

قال (شكرى) :

ــ جئت لأتحدث اليك يا دكتور (إبراهيم) .

انفعل (إبراهيم) ، قائلًا :

ــ إننى لا أتحدث مع الخونة أمثالك .. لقد خنتنى ، وساعدت أولئك المجرمين على الاستيلاء على العينة الكيميائية واختطافى .

شكرى :

ــ كنت مضطرًا يا دكتور .

الدكتور (إبراهيم) .

ــ لن أقبل منك أى تبرير ، فأنت واحد منهم .

قال (شكرى) وهو يتناول ورقة وقلمًا ، يخطّ بعض الكلمات :

ــ اسمع يا دكتور (إبراهيم) ، لك أن تعتبرنى خائنًا ، أو واحدًا منهم ، أو ما يحلو لك ، ولكن يتعيّن علىّ أن أبصّرك

بعواقب الأمور .. إن حياتنا جميعًا معلقة بإطلاعهم على سرّ المصل الواق ، ويجب أن تنفذ ما طلبوه منك .

قال ذلك وهو يضع الورقة أمام (ممدوح) والدكتور (إبراهيم) ، حيث كان مكتوبًا عليها :

ـــ سأساعدكما على الهرب ، فأنا أيضًا أتعرّض للخطر معكما .. فقط على الدكتور (إبراهيم) أن يتظاهر بإعداد تركيبة المصل الواق .. لن أستطيع التحدّث إليكما بصوت عال ؛ لأنهم يتجسّسون علينا ، ولقد أرسلنى (سكوت) للتأثير عليكما .

نظر الدكتور (إبراهيم) إلى (ممدوح) ، الذى أشار له بالموافقة على ما جاء بالورقة ، فتظاهر الدكتور (إبراهيم) بالموافقة ، قائلًا :

ـــ وما الذى يضمن لى أنهم سيطلقون سراحنا ، لو ساعدتهم فى الحصول على المصل الواق ؟

قال (شكرى) ، وهو يخط بقلمه بضع كلمات أخرى على الورقة :

ـــ لقد وعدنى (سكوت) بذلك ، وأنا أثق فى كلمته .

ثم أظهر الورقة لهما ، حيث كان مكتوبًا عليها :

ـــ سأساعدكما على الهرب فى اللحظة المناسبة ، فقد تظاهرا بالموافقة .

قال الدكتور (إبراهيم) :

ـــ حسنًا .. إننى أوافق .. هل لديهم معمل كيميائى هنا ؟

قال (شكرى) بصوت ينمّ عن اغتباطه :

ـــ نعم .. وسيكون معدًا لاستقبالك فى الحال .

وعاد يكتب على الورقة :

ـــ سأصحبكما فى المعمل الكيميائى ، وسيكون معنا كيميائى آخر من (لوتشيا) ، لمراقبة طريقة إعداد المصل الواق ، لذا يتعيّن عليك أن تكون مقنعًا فى البداية ، وبعد ذلك سنجد الوسيلة للهرب .

وبعد قليل حضر (سكوت) وصديقته ، وتوجه بحديثه إلى الدكتور (إبراهيم) ، قائلًا :

ـــ أخبرنى مساعدك القديم إنك قد أبديت تعقلًا .

قال الدكتور (إبراهيم) مظهرًا استسلامه :

ـــ وهل كان لى خيار آخر ؟ إننى سأقدم لك ما تريده إعتمادًا على وعدك لى بإطلاق سراحنا بعد ذلك ، وأرجو أن تكون ممن يوفون عهودهم .

ابتسم (سكوت) ، وقد بدت على وجهه ملامح الارتياح ، قائلًا :

— طبعًا .. طبعًا .. فلن أكون بحاجة إليك ، ولا إلى صديقك ، بعد الحصول على المصل الواقى ، وسأطلق سراحكما فى الحال .

الدكتور (إبراهيم) :

— لدى شرط آخر .

سكوت :

— وما هو ؟

الدكتور (إبراهيم) :

— أريد أن يصحبنى (ممدوح) أثناء إعدادى المصل الواقى فى المعمل .

سكوت :

— وما حاجتك إليه ؟

الدكتور (إبراهيم) :

— حتى أضمن ألا تلحقوا به أى أذى ، قبل أن أنتهى من عملى .

سكوت :

— لك ما تريد .

الدكتور (إبراهيم) :

— حسنًا .. أعتقد أنه يتعيّن عليك الآن أن تحرّرنا من قيودنا ، ثم تسمح لنا ببعض الطعام والراحة ، قبل أن نذهب إلى المعمل .. أليس كذلك ؟

* * *

اقتاد رجال (سكوت) (ممدوح) والدكتور (إبراهيم) إلى المعمل الكيميائى ، حيث بدأ الدكتور (إبراهيم) فى التظاهر بإعداد التركيبة الكيميائية الخاصة بالمصل الواقى ، ووقف مساعده وتلميذه يشاركه فى إعداد المصل ، تحت رقابة الكيميائى التابع لمخابرات (لوتشيا) ، وفى أثناء ذلك كان هناك رجلان من أعوان (سكوت) يقفان مدججين بالسلاح خارج المعمل ، وهما يراقبان مايدور داخله ، عبر اللوح الزجاجى ، الذى يكشف مايدور بالداخل من آن لآخر ، وعلى الرغم من ذلك ، نجح (شكرى) فى دس محقن صغير فى يد (ممدوح) ، منتهزًا إنشغال كيميائى (لوتشيا) بمراقبة طريقة إعداد الدكتور (إبراهيم) للمصل الواقى ، وهو يهمس فى أذنه قائلًا :

— إنه يحتوى على مخدّر .. سأحاول أن أشغل الرجلين

الواقفين بالخارج ، وعليك أن تتولّى الباقى .

غادر (شكرى) المعمل ، قائلًا للرجلين الواقفين بالخارج :

ـــ هل يمكن إحضار بعض المواقد الإضافية إلى المعمل ؟

قال له أحدهما :

ـــ الأوامر الصادرة إلينا تحتم عدم مغادرة المكان .

قال (شكرى) :

ـــ ولكننا بحاجة إلى هذه المواقد ، لإعداد بعض المواد الكيماوية ، وأظن أن مستر (سكوت) لن يمانع فى ذلك .

بدا عليهما التردد ، ثم قال أحدهما :

ـــ حسنًا .. سأتصل بالمستر (سكوت) ، لأخبره الأمر .

ثم تحرّك متجهًا داخل الممر المحيط بالمعمل ، لاستخدام الهاتف الداخلى ، فى حين بقى زميله فى صحبة (شكرى) ، الذى أخرج علبة سجائره ، ليقدّم منها سيجارة إليه ، قائلًا :

ـــ تفضل .

تناول الرجل السيجارة شاكرًا ، وفى أثناء ذلك اقترب (ممدوح) من الكيميائى اللوتيشى ، الذى كان يتابع عمل

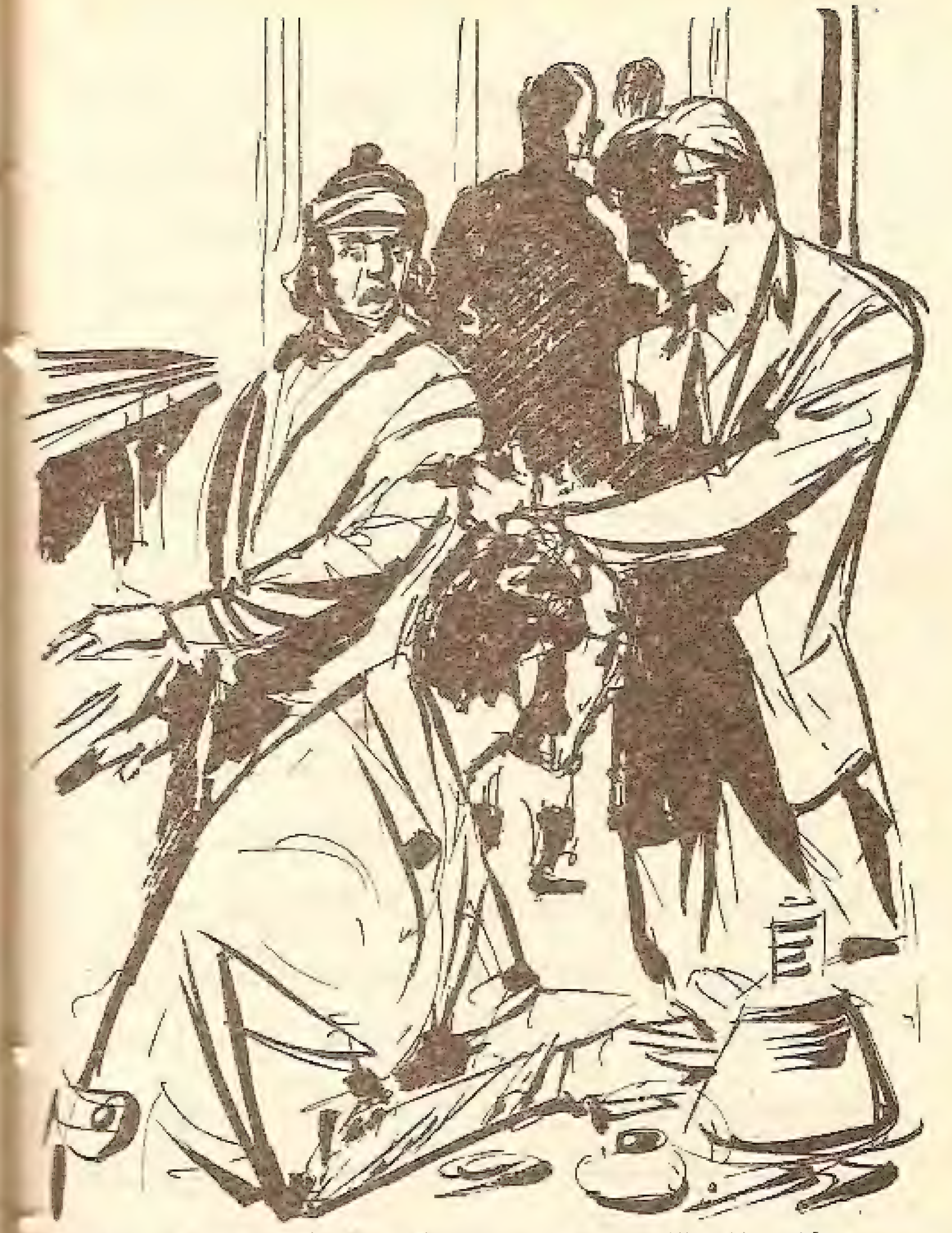
الدكتور (إبراهيم) باهتمام ، ودفع إبرة المحقن فى ذراعه ، فاستدار الرجل سريعًا ، وقد فوجئ بتصرّف (ممدوح) ، ثم حاول أن يطبق بيديه على عنقه ، ولكن مقاومته تلاشت بسرعة ، وتهاوى على الأرض فاقدًا الوعى ، وهنا تحوّل (ممدوح) إلى الدكتور (إبراهيم) ، قائلًا :

ـــ هيا بنا .

وكان شكرى فى أثناء ذلك قد أعطى ظهره للوح الزجاجى ، الذى يكشف المعمل من الداخل ، حاجبا ما يدور فيه عن أنظار الشخص الواقف أمامه ، ولكن الرجل سرعان ما انتبه إلى وجود حركة غير عادية داخل المعمل ، فأزاح (شكرى) جانبًا ، وهو يقول فى خشونة :

ـــ ما هذا ؟ .. ما الذى يحدث ؟

ولكن ممدوح كان أسرع منه ، إذ سرعان ما فتح باب المعمل ، حاملًا موقد النار ، الذى أحضره من المعمل ، وقبل أن يلجأ الرجل إلى استخدام سلاحه ، كان (ممدوح) قد حرّك لسان اللهب ، ليشوى ذراع الرجل ، الذى صرخ من شدّة الألم ، عندما لامست النار ذراعه ، وترك سلاحه يسقط من يديه على الأرض ، فعاجله (ممدوح) بلكمة قوية ، ثم تناول



وفى أثناء ذلك اقترب (ممدوح) من الكيميائى اللوتيشى، الذى كان يتابع عمل الدكتور (إبراهيم) باهتمام، ودفع إبرة المحقن فى ذراعه ..

السلاح النارى مسدّدًا ضربة أخرى إلى فك غريمه بمؤخرته ، أطاحت به أرضًا ، وهتف بهما (ممدوح) :

ــ هيا .. سريعًا .

واندفع وخلفه الدكتور (إبراهيم) و(شكرى) ، داخل الممر المحيط بالمعمل ، ولكنهم وجدوا أنفسهم فجأة أمام الحارس الآخر ، الذى أنهى محادثته مع (سكوت) ، وفوجئ الرجل بهم كذلك ، وقبل أن يتمكّن من استخدام سلاحه ، كان (ممدوح) قد قفز فى الهواء ، مسدّدًا ركلة قوية إلى الرجل ، جعلت رأسه يصطدم بالجدار ، وبثلاث ركلات سريعة متتالية من ضربات (الكاراتيه) ، التى يجيدها (ممدوح) ، كان الرجل قد تكوّم على الأرض فاقد الوعى ..

واندفع (ممدوح) داخل إحدى الحجرات ، فى أعقابه زميلاه ، حيث وجد أمامه نافذة مفتوحة ، وبدون تردّد طلب من زميليه الوثوب من النافذة إلى حديقة الفيلا ، ولما أبدى (شكرى) مخاوفه ، أمسك (ممدوح) ذراعه ، ودفعه أمامه بقوة ، قائلًا :

ــ لا مجال للتراجع أو التردّد الآن .. هيا اقفز .

رضخ (شكرى) والدكتور (إبراهيم) لصوت (ممدوح)

الآمر ، فاندفعا يقفزان من خلال النافذة إلى الحديقة ، حيث كانت المسافة قصيرة من حسن حظهما ، وتبعهما (ممدوح) فى الوثوب ، حيث طلب منهما أن يتقدماه ليحميهما بالسلاح ، الذى استولى عليه ، وسرعان ما اعترضهما ثلاثة أشخاص مدججين بالسلاح ، ولكن (ممدوح) تعامل معهم بسرعة ومرونة ، مطلقًا ثلاث رصاصات من سلاحه ، أطاحت بهم جميعًا ، وحاولت إحدى السيارات اعتراضهم ولكن (ممدوح) أطلق رصاصة محكمة على قائدها أردته قتيلًا ، ثم قفز أمام عجلة القيادة ، بعد أن تخلّص من الرجل ، طالبًا من رفيقيه أن يتبعاه ، وبالفعل أسرعا بالقفز داخل السيارة ، حيث إندفع بها (ممدوح) فى اتجاه البوابة الخارجية ، ولكنه لم يلبث أن أحجم عن ذلك ، عندما اعترضه ثلاثة أشخاص آخرون ، انهالت طلقاتهم فى اتجاه السيارة ، فأصابوا زجاجها وإحدى إطاراتها ، وأطلق (ممدوح) العنان للسيارة فى اتجاه السور المحيط بحديقة الفيلا ، وأوقفها إلى جوار السور ، وطلب من الدكتور (إبراهيم) و(شكرى) أن يعتليا ظهر السيارة ، ليقفزا منها إلى السور ، وفى أثناء ذلك كانت هناك مجموعة أخرى من الأفراد ، فى طريقهما إليهم ، ولكن (ممدوح) أزاح كعب

حذائه جانبًا وهو داخل السيارة ، وتناول من داخله قنبلة صغيرة فى حجم قداحة السجائر ، وثبّتها فى (تابلوه) السيارة ، بعد أن نزع فتيلها ، ثم أدار السيارة فى اتجاه الأشخاص القادمين نحوه ، وترك محرّكها دائرًا ، وأسرع يقفز منها إلى مؤخرتها ، وبخفة ومرونة الفهد ، وثب من مؤخرة السيارة إلى سور الحديقة ، بعد أن بذل جهدًا خرافيًا فى القفزة ، حتى تمكّنت أصابعه من التعلق بحافة السور ، فى حين واصلت السيارة طريقها فى اتجاه الرجال المندفعين نحوهم ، وانفجرت على بعد ثلاث خطوات منهم ، محدثة دويًا هائلًا ، وتراجع الرجال إلى الوراء ، وهم يضعون أيديهم على عيونهم ، لحمايتها من النيران المتأجّجة ، فى حين أتاح ذلك لممدوح ورفيقيه فرصة القفز من فوق السور إلى خارج الفيلا ..

وإلى الحرية ..

* * * *



٩ ـــ الذئب ..

كان (ممدوح) جالسًا أمام مكتبه ، يرتب بعض الأوراق ، عندما دخل اللواء (مراد) حجرته ، فنهض (ممدوح) واقفًا ، واقترب اللواء (مراد) ليرتكز بكتفه إلى إحدى الدواليب المعدنية داخل الحجرة ، قائلًا :

ـــ لقد اختفوا جميعًا من تلك الفيلا ، التي أخذوكم إليها .

ممدوح :

ـــ كان هذا أمرًا متوقعًا ياسيّدى ، فلابد أنهم أبدلوا مقر إقامتهم ، بعد هروبنا من الفيلا .

اللواء (مراد) :

ـــ أو فروا إلى الخارج .

ممدوح :

ـــ هل ورد أى شىء بشأنهم ، من الأجهزة المعنية برقابة الحدود ؟

اللواء (مراد) :

ـــ كلا .. كل التقارير الواردة تفيد أنهم لم يغادروا البلاد ، ولكن أنت تعرف .. هناك دروب ووسائل للهرب .

ممدوح :

ـــ لا أظن أنهم نجحوا فى الهرب ، فهم لم يحقّقوا هدفهم بعد .

اللواء (مراد) :

ـــ تقصد المصل الواق .

ممدوح :

ـــ ربما ، ولكننى أظن أنه هناك هدف آخر .. هدف خفى لهذه العملية .

اللواء (مراد) :

ـــ ماذا تعنى ؟

ممدوح :

ـــ لا أعرف .. ليس لدى شىء محدد ، ولكن وجود (جيمى سكوت) فى هذه العملية ، أمر يبعث على التساؤل ، فرجل مثل (جيمى سكوت) لا يصلح أن يكون عميلًا للمخابرات بهذا الشكل المباشر ، أى كانت هذه المخابرات .. ربما يقدّم لأحد تلك الأجهزة بعض الخدمات من آن لآخر ، أو يساهم فى الإشراف على عدد من العمليات عن بعد ، ولكن

أن يسهم فى قيادة مجموعة من العملاء ، لتنفيذ عملية من هذا النوع ، فهذا هو الشئ الذى يثير التساؤل .. إنه مليونير سابق ، وله هواية شاذة وغريبة ، وهى تنفيذ نوعيات معينة من السرقات الصعبة ، التى تحتاج إلى مهارة معينة .. إنه يجد متعة فى النجاح ، فى ذلك النوع من السرقات ، وأنا أعرف ذلك من خبرتى فى التعامل معه ..

اللواء (مراد) :

ـ وسرقة سرّ المصل الواق هى أيضًا نوع من السرقات الصعبة ، إذ لا تنسى أنها تم ضد عالم كبير من علماء الإدارة ، فضلًا عن الثأر الموجود بينه وبيننا ، وبينك أنت بصفة خاصة ، بعد أن أحبطنا له عملية (توت عنخ آمون) السابقة ، وتسببّت فى إيداعه السجن .

ممدوح :

ـ هذا صحيح ، ولكننى ما زلت أعتقد أن هدفه يتجاوز ذلك .

اللواء (مراد) :

ـ أيًا كان الأمر ، فهو لم يحقق حتى الآن أيًا من أهدافه ، سواء الظاهرة أو الخفية ، فهو لم يتمكّن من الحصول على المصل

الواق من الدكتور (إبراهيم) ، اللهم إلا استرداد تلك العينة الكيميائية ، التى حصلنا عليها من (لوتشيا) ، ولم يعد لهذا الأمر قيمة بالنسبة لنا ، فلدينا الآن سر التركيبة الكيميائية التى توصّلوا إليها ، والمصل الواق المضاد لها .

ممدوح :

ـ ولكن هذا لا يعنى أننا سندعهم يفلتون من أيدينا .

اللواء (مراد) :

ـ بالطبع ، ولكن أجهزة الرصد والتحريات لم تتوصّل إلى شئ بالنسبة لـ (سكوت) وأعوانه حتى الآن .

ثم جلس اللواء (مراد) على المقعد المواجه لمكتب (ممدوح) ، وسأله (ممدوح) قائلًا :

ـ وماذا عن (شكرى) ، المساعد الكيميائى للدكتور (إبراهيم)؟ .. أعتقد أن مساعدته لنا على الهروب تستحق بعض التخفيف .

اللواء (مراد) .

ـ لقد كان ينقذ نفسه أيضًا ، فمن المؤكد أنه أحسّ أن (سكوت) ينوى أن يغدر به ، وشخص مثله يجب أن يحاسب على خيانته ، وإن كان سيوضع فى الاعتبار مساعدته لكما على الهروب .

ممدوح :

ـ لقد سلّطوا عليه تلك الفتاة (جوليا) التى استغلّت فتنتها فى التأثير عليه ، وتجنيده لحساب (سكوت) وأعوانه ، فسهّل لهم دخول معمل الدكتور (إبراهيم) والاستيلاء على العينة الكيميائية ، واختطافه ، ولكن لم يلبث أن أدرك تورّطه فى الأمر ، وتملّكه الندم حينما رأى ما حاق بأستاذه من تعذيب ، على أيدى هؤلاء الأوغاد ، لإجباره على كشف المصل الواقى .

اللواء (مراد) :

ـ من المؤسف أنه لا يملك معلومات أكثر من هذا ، بشأن هؤلاء الذين جندوه للعمل لحسابهم .

وفى تلك اللحظة فُتِحَ باب الحجرة ، ودلف منه الرائد (رفعت) ، وحيّا اللواء (مراد) قائلًا :

ـ سيادة اللواء .. لقد توصّلنا إلى معلومات جديدة بشأن عملاء (لوتشيا) .

هبّ اللواء (مراد) و(ممدوح) واقفين ، وسأله اللواء (مراد) باهتمام :

ـ هل عثرت على أحد عملاء (سكوت) ؟

رفعت :

ـ نعم .. الفتاة (جوليا) .. لقد لمحها أحد رجالنا متنكّرة ، وهى تجلس داخل سيارة ، بالقرب من مطار (القاهرة) ، ولقد استقبلت شخصًا وصل على إحدى طائرات الخطوط الجوية الفرنسية ، واصطحبته فى سيارتها إلى أحد فنادق العاصمة .

اللواء (مراد) :

ـ ومن هذا الرجل ؟ .. هل استطعتم تحديد ملامحه ؟

قدّم له (رفعت) ثلاث صور فوتوغرافية ، قائلًا :

ـ لقد تمكّنا من تصويرهما . بإحدى كاميراتنا الحسّاسة ، ولم يحاول رجالنا القيام بأى تصرف ، انتظاراً لأوامر سيادتك .

تناول اللواء (مراد) الصور الثلاثة ، ليفحصها بدقة ، ثم طلب عدسة مكبّرة ، قدمّها له (ممدوح) ، ليستخدمها فى إعادة فحص الصور ، وخاصة صورة الرجل ، الذى يجلس بصحبة (جوليا) ، وأخذ اللواء (مراد) يهمس ، وكأنه يردّد لنفسه قائلًا :

ـ إننى أعرف هذا الرجل .. أعرفه بكل تأكيد على الرغم من تنكّره ، ولكن الذاكرة تخوننى .

ثم لم يلبث أن ضرب جبهته براحته ، هاتفًا :

ـــ نعم .. أنه (سيرجو) .

سأله (ممدوح) :

ـــ ومن (سيرجو) هذا ؟

التفت إليه اللواء (مراد) قائلًا :

ـــ واحد من أخطر عملاء مخابرات (لوتشيا) ، يعرف باسم (الذئب) ، وهم يستخدمونه دائمًا فى رصد العمليات التى يقوم بها الآخرون ، ممن يعملون لحسابهم ، وأحيانًا للتخلص منهم .

ممدوح :

ـــ هذا يقوّى من صحة افتراضى ، بأنهم لايثقون فى (سكوت) ، وربما أرسلوا (سيرجو) هذا من أجل ذلك .

اللواء (مراد) :

ـــ وماذا عن لقائه مع الفتاة ؟

ممدوح :

ـــ من يدرى ربما أن الفتاة أيضا تقوم بدور الجاسوسة على (سكوت) ، أو مكلّفة بمتابعة تنفيذه لأوامرهم .. المهم أن وصول ذلك الرجل إلى (القاهرة) يعد فرصة ذهبية ، بالنسبة

لنا ، فهو الذى سيقودنا إلى (سكوت) وفريقه ، إذا كانوا مايزالون داخل البلاد ، وهذا يقتضي منا تحرّكًا سريعًا .

نظر إليه اللواء (مراد) بثقة ، قائلًا :

ـــ حسنًا .. تحرّك فالعملية عمليتك .

وابتسم (ممدوح) قائلًا ، وهو يشد قامته بطريقة عسكرية ، وقد عادت إليه حيويته ونشاطه :

ـــ كما تأمر ياسيّدى .

ثم التفت إلى (رفعت) قائلًا :

ـــ اسمع يا (رفعت) أريد مراقبة دقيقة للفتاة ، وذلك العميل ، ولكن دون اثارة أدنى شك بالنسبة إليهما ، وإلا أفلتا من أيدينا ، وسألحق بكم بعد لحظات قليلة ..

ولم تمض ساعة واحدة على هذا الحديث ، حتى تلقى (ممدوح) إشارة لاسلكية داخل سيارته من (رفعت) ، الذى قال :

ـــ لقد غادرت الفتاة الفندق ، واستقلّت طائرة صغيرة متجهة إلى (الغردقة) .

ممدوح :

ـــ حسنًا .. هل أرسلت أحدًا فى أثرها ؟

رفعت :

ـــ نعم .. الرائد (عدلى) استقلّ نفس الطائرة معها ، وسيرسل إلينا تحركاتها خطوة بخطوة .

ممدوح :

ـــ وماذا بشأن (سيرجو) ؟

رفعت :

ـــ إنه لم يبارح الفندق بعد ، ولكن أعتقد أنه سيلحق بالفتاة فى (الغردقة) ، لأنه طلب من موظف الأستقبال حجز مكان له ، على إحدى الطائرات المتجهة إلى (الغردقة) غدًا .

ممدوح :

ـــ تولّى إذن حجز مكان لى أيضًا على نفس الطائرة ، فأعتقد أننا سنقطف الثمار كلها هناك .. أعتقد ذلك بشدة .

* * *



١٠ ـــ صراع فوق الصخور ..

وصل (ممدوح) إلى إحدى الفيلات الصغيرة ، المطلّة على شاطئ البحر فى (الغردقة) واستعمل أحد المفاتيح التى حملها معه فى فتح بابها ، ولم يكد يدلف إلى الفيلا ، حتى امتدت يدان فى اتجاهه ، لتجذبه إلى الداخل ، فى حين صُوِّبت فوهة مسدّس إلى وجهه ، ولكنه قال مبتسمًا :

ـــ اهدءوا أيها الأصدقاء .. إنه أنا (ممدوح عبد الوهاب) .

حرّر الرجل الذى جذب (ممدوح) ، لحظة دخوله من باب الفيلا ، ذراعيه من قبضته ، فى حين أعاد الثانى مسدّسه إلى جرابه ، وهو يقول معتذرًا :

ـــ آسف ياسيِّدى .. أنت تعرف احتياطات الأمن .

قال (ممدوح) ، وهو يسوّى ثيابه :

ـــ بالطبع .. بالطبع .. المهم ما هى آخر الأخبار .

قال زميله ، الذى حاول تقييد حركته :

ـــ لقد تتبّعنا الفتاة منذ وصولها إلى (الغردقة) ، وهى

تنزل فى إحدى الفيلات السياحية المطلّة على الشاطئ . ولقد لمحنا عددًا من الأشخاص الآخرين .

سألهما (ممدوح) :

ــ و (سكوت) ؟

أجابه زميله :

ــ لم يظهر له أثر بعد .

ممدوح :

ــ لا بد أنه موجود داخل هذه الفيلا ، فى صحبة الفتاة .

رد عليه زميله قائلًا :

ــ هذا محتمل ، فستائر النوافذ مسدّله بصورة دائمة ، ولم نستطع تبين الأشخاص الآخرين داخلها ، على الرغم من استخدامنا المناظير المقرّبة . والتفت (ممدوح) إلى زميله الآخر ، قائلًا :

ــ وماذا بشأن (سيرجو) ؟

وردّ زميله قائلًا :

ــ لقد نزل فى أحد فنادق ، (الغردقة) ، ولم يحاول الإقدام على أى تصرّف غير طبيعى منذ نزوله فى الفندق ، فهو يمارس حياته كأى سائح عادى ، ولم تحاول الفتاة الاتصال به

منذ وصوله إلى الغردقة ، كما لم يحاول هو أيضًا الاتصال بها .

ممدوح :

ــ حسنًا .. أعتقد أنه يتعيّن علىَّ القيام بزيارة قصيرة لتلك الفيلا ، التى تقيم فيها الفتاة ، حتى أستطلع الأمر .

ولكن زميله قال محذّرًا :

ــ ولكن ماذا عن أولئك الأشخاص ، الذين يحومون حولها ؟ .. إنهم مسلحون ، وإن كانوا لا يظهرون ذلك علانية .

ممدوح .

ــ أعرف ذلك بالطبع .. اطمئن سأبذل كل جهدى لكى لا ألفت الأنظار إلىَّ ، فأنا حريص على ألا يشعروا بوجودى ، حتى أتبيّن حقيقة مخطّطهم .

وسأله زميله الأول :

ــ ولماذا لا نقوم بالإطباق على الفيلا ، ومحاصرة كل من فيها ، لينتهى الأمر فى نفس الوقت الذى نعتقل فيه (سيرجو) ؟

ممدوح :

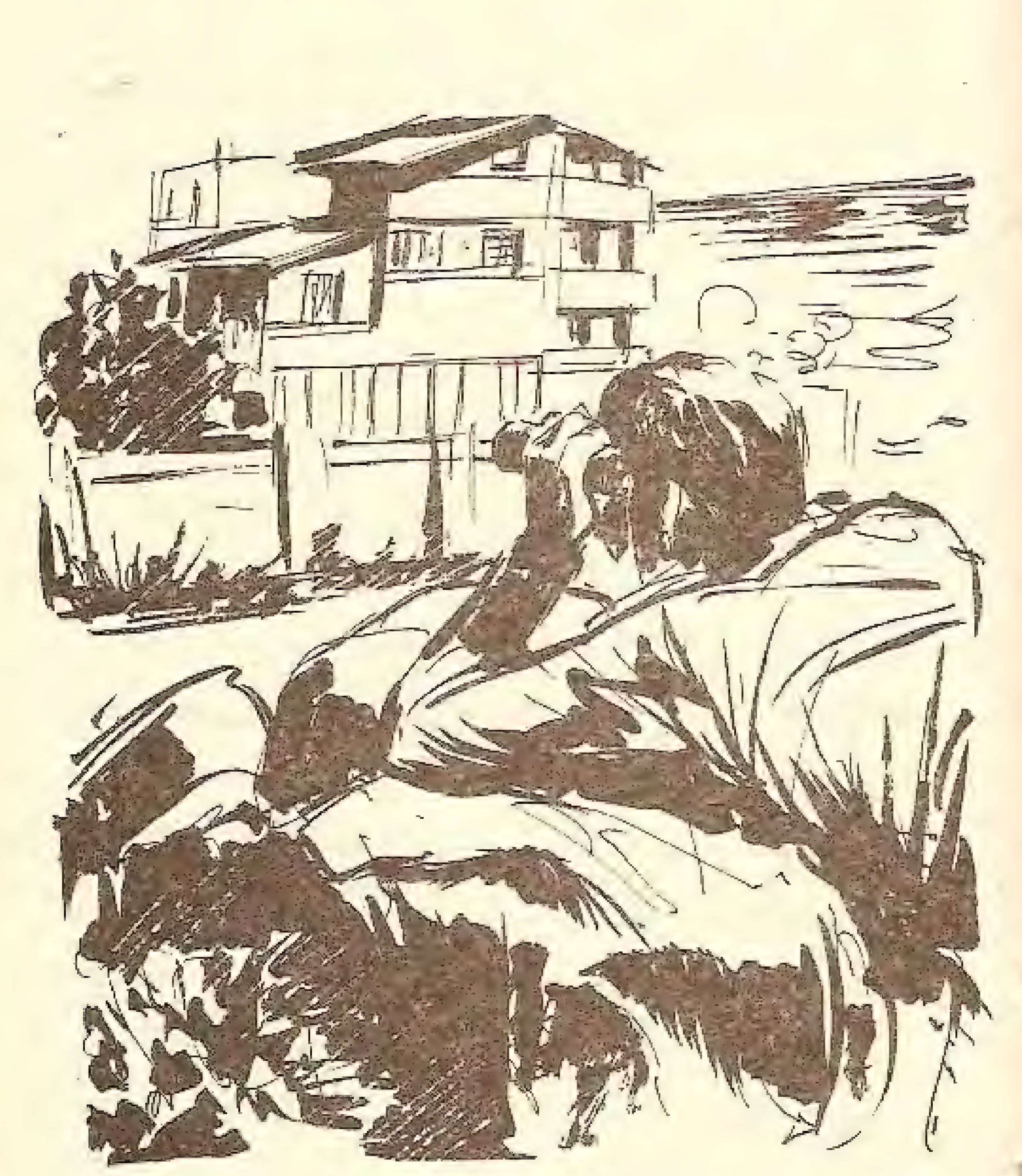
ــ خطأ .. فنحن لا نعرف من داخل الفيلا .. ربما لم يكن (سكوت) بالداخل ، وهجوم كهذا سينبهه ، ويمنحه الفرصة للهرب ، ويحرمنا من فرصة إلقاء القبض عليه ، وهذا يتعارض

مع خطتى ، فأنا أسعى إلى كشف مخططهم بالكامل ، ومحاصرة كل أطراف هذه العملية .. كلهم بلا استثناء .

* * *

وفى المساء كان (ممدوح) يقطع الطريق المؤدى إلى الفيلا ، متسللًا عبر المنطقة الصخرية المحيطة بها ، ومعتمدًا على مهارته فى تسلّق الصخور ، واعتلى إحدى الصخور الضخمة ، القريبة من الفيلا ، والتى تطل عليها ، واختفى خلف الصخرة ، بعد أن ثبّت فوقها منظاره المقرّب ، الذى استعان به فى متابعة ما يدور فى الفيلا ، ورأى بضعة أشخاص يدورون حولها ، فى حين كانت الستائر مسدلة على النوافذ كما وصف زملاؤه ، وكان على وشك تحويل المنظار عن الفيلا ، وهو يفكّر فى صعوبة التسلّل إليها دون إثارة الريبة ، إلّا أنه رأى إحدى الستائر المسدلة تنزاح من مكانها ، ليلمع ضوء متقطّع عبر النافذة ، وسرعان ما لمح (ممدوح) ضوءًا متقطعًا آخر ، يأتى عبر البحر ، وكأنه يردّ على الإشارة المنبعثة من النافذة ، وكان من الواضح أن هناك سفينة ، أو قارب ما ، يتجاوب مع الإشارة الضوئية الصادرة من الفيلا ..

وبينما استغرق (ممدوح) فى مراقبة هذا المشهد ، وهو مستلق على الأرض ، إذا به يسمع صوتًا يأتى من خلفه ، قائلًا :



واختفى خلف الصخرة ، بعد أن ثبّت فوقها منظاره المقرّب ، الذى استعان به فى متابعة ما يدور فى الفيلا ..

ــ ماذا تفعل هنا ؟

استدار (ممدوح) سريعًا ، ليرى (سيرجو) فى صحبة ثلاثة رجال مدججين بالسلاح ، وقد أحاطوا به ، وتأهب (ممدوح) للنهوض ، ولكن (سيرجو) قال بصوت آمر :

ــ لا داعى لأن تكلف نفسك عناء النهوض من مكانك ، فسوف نقتلك وأنت على هذا الوضع .

ابتسم (ممدوح) فى سخرية ، وهو يضع يده على المنظار المكبّر ، قائلًا :

ــ ولكننى أفضل أن أموت واقفًا على قدمىّ .

قال هذا وهو يوجّه عدسة المنظار فى اتجاه (سيرجو) وأعوانه ، ثم ضغط زرّا صغيرًا فى مؤخّرة المنظار ، فتوهّج ضوء قوىّ غشى أبصار الرجال الأربعة ، مما جعلهم يخفون أعينهم بسواعدهم ، وأتاح ذلك لـ (ممدوح) فرصة النهوض فى سرعة ، وهو مستمر فى تسديد ذلك الضوء المبهر فى اتجاه الأشخاص الأربعة ، الذين بهر الضوء عيونهم ، وهمّ أحدهم باستخدام مسدّسه ، ولكن (سيرجو) دفعه بقوة إلى الخلف ، وهو يهتف فيه ، قائلًا :

ــ كلا أيها الغبى .. ليس بالمسدس ، فنحن لا نريد أن نجذب إلينا الأنظار .

شهر الاثنان الآخران خنجريهما ، وقال أحدهما بغلظة :

ــ حسنًا ، سأوفّر له ميتة صامتة .

وابتسم (ممدوح) وهو يصوّب ضوء المنظار بطريقة مباشرة إلى عين الرجل ، قائلًا :

ــ وأنا أيضًا أُفضّل الأسلوب الهادئ ، فى التعامل مع القتلة أمثالكم .

واستغلّ (ممدوح) محاولة الرجل حماية عينيه باستخدام ساعده ، ليطيح بخنجره بركلة قوية من قدمه ، ثم سارع بحمله من قدمه وساعده ، فى حركة فنية من حركات المصارعة ، ليلقى به على الرجل الآخر ، فى أثناء استعداده لمهاجمته بخنجره ، فاستشاط (سيرجو) غضبًا ، وأسرع يتناول مسدّسه ، وهو يصوّبه فى اتجاهه ، ولكن (ممدوح) وضع إصبعه على شفتيه ، وهو يهمس له ، قائلًا :

ــ تذكّر نحن لا نريد إحداث جلبة ، ولفت انتباه الآخرين ولكن (سيرجو) ثبّت كاتمًا للصوت على فوهة مسدّسه ، قائلًا :

ــ سأضمن لك ذلك .

نظر (ممدوح) إلى كاتم الصوت المركّب على المسدّس ،

قائلًا :

— فى هذه الحالة لا بد من التصرّف بطريقة أخرى .

ووضع يده خلف ياقة سترته ، فكشف عن ثقب صغير فى إحدى أزرارها ، سرعان ما تطاير منه سهم رفيع فى حجم الدبوس ، ليستقرّ فى رسغ (سيرجو) الذى أطلق صرخة مدوية ، ليسقط مسدسه على أثرها فوق الصخر ، وقال له (ممدوح) ساخرًا :

— لا داعى للصراخ ، فنحن لا نريد أن نلفت إلينا الأنظار .

وأسرع يتناول المسدّس ، وهو يصوّبه إليهم ، قائلًا :

— اطمئنوا لن أحدث بكم أضرارًا ، مادمتم ستكونون عقلاء .. كل ما أريده هو مغادرة هذا المكان سريعًا فى هدوء ، دون جلبة .. تلك الجلبة التى لا تحبونها ، وأعدكم بأننى لن أعود إلى هنا مرة أخرى ، وإنما هو الفضول ، الذى يدفع المرء إلى ارتياد هذه الأماكن .

قال هذا وهو يتراجع بظهره إلى الوراء ، وعيناه تراقبان الرجال الأربعة ، وقد صوّب المسدّس فى اتجاههم ، ثم لم يلبث أن أطلق لساقيه العنان ، ليختفى عن أنظارهم ، وحاول

أحدهم متابعته ، ولكن (سيرجو) استوقفه ، قائلًا :

— لا داعى لمطاردته .

سأله الرجل ، قائلًا :

— هل سنتركه يفلت هكذا؟

سيرجو :

— أنه لن يشكّل خطرًا على عملنا ، فمهما كان هذا الشخص فهو يجهل أهدافنا ، وما أعددناه .. المهم أن تحضر (جوليا) الآن ؛ لنضع اللمسات الأخيرة لخطتنا .

وأشار أحدهم إلى المنحدرات الصخرية ، قائلًا :

— ها هى ذى قادمة .

وكان هذا إيذانًا ببدء الخطة ..

خطة الشياطين .

* * *



١١ ــ بريق الذهب ..

استقبل (سيرجو) (جوليا) ، قائلًا :

ــ هل لحك أحد ، وأنت قادمه إلى هنا ؟

أجابته ، قائلة :

ــ كلّا ، إن (سكوت) مشغول مع العالم الكيميائى ، فى التأكد من أن السائل الكيميائى قد أمكن تحويله إلى قنبلة غازية .

سألها (سيرجو) :

ــ وهل نجح (ريكو) فى ذلك حقا ؟

قالت بثقة :

ــ نجح تمامًا .

سيرجو :

ــ عظيم .. وماذا عن المصل الواق ؟

جوليا :

ــ لقد قررنا الاستغناء عنه بالأقنعة الواقية ، ونجح

(سكوت) فى إحضار بعض تلك الأقنعة الخاصة بهذه العملية ، ولقد أكدّ (ريكو) أن تأثير القنبلة الغازية لن يتجاوز عربات القطار ، مما سيجعلنا بعيدين عن دائرة الخطر .

سيرجو :

ــ ومتى تحدّد القيام بهذه العملية ؟

جوليا :

ــ بعد غد ، فى الساعة التاسعة مساءً ، فسيتحرّك القطار المحمل بالذهب من المنجم القريب من (الغردقة) ، فى طريقه إلى (القاهرة) ، على الخط الخاص بنقل البضائع ، وسنكون فى انتظاره فى هذه المنطقة فى أثناء مروره .

قالت ذلك وهى تشير إلى أحد المناطق ، على الخريطة التى أحضرتها معها ، وتهلّل وجه (سيرجو) قائلًا :

ــ عظيم .. تمامًا كما توقّعنا ، فإصرار (سكوت) على القيام بهذه العملية كان يخفى وراءه هدفًا آخر ، فهدفه الحقيقى كان الذهب ، الذى يأتى من هذا المنجم القريب من (الغردقة) ، ووسيلته فى ذلك هى السائل الكيمائى ، الذى طلبنا منه إحضاره ، مع الكشف عن الطريقة التى ابتكرها المصريون للتغلب على آثار هذا السائل .. لقد قرّر أن يأخذ

العملية لحسابه ، ويمارس هوايته القديمة فى السرقة .. ياله من لص !!

قالت (جوليا) بانفعال :

ـــ إنه ليس لصًا فقط ، بل خائن أيضًا .. وكان من الخطأ منذ البداية تعيينه فى مخابرات (لوتشيا) .

قال (سيرجو) ، وهو يعود لتأمّل الخريطة :

ـــ اطمئنى يا عزيزتى ، فالخائن سيلقى جزاءه .. إننى هنا من أجل هذا .

عادت تقول بانفعال :

ـــ من الغريب أن كل من كنا نثق فيهم شاركوه هذه الخيانة .. بدءًا من (ريكو) ، الذى أنفقنا على أبحاثه الملايين ، وحتى بقية المجموعة المكلّفة تنفيذ المهمة .. كلهم شاركوه فى تحويل هذه العملية إلى سرقة كبرى .

ابتسم (سيرجو) ، وهو ينظر إلى الفتاة بخبث ، قائلًا :

ـــ لاتندهشى يا عزيزتى .. إنه بريق الذهب .

ثم مرّر يده على وجنتيها ، قائلًا :

ـــ ولكن ما زال هناك أشخاص مخلصون ، لم يبهرهم بريق الذهب ، مثلك أيتها العزيزة (جوليا) .

ثم وقف يتأمل الفيلا ، من خلف الصخرة الضخمة ، قائلًا :

ـــ المهم .. هل تأكّد (سكوت) من أن ذلك الرجل ، الذى سيكون موجودًا فى القطار ، سيلتزم بالمطلوب منه ، للقيام بهذه العملية ؟

جوليا :

ـــ إنه يقول : إنه موضع ثقة ، كما إنه وعده بمبلغ كبير من المال ، نظير قيامه بدوره .

ثم اقتربت منه ، وهى تقول مستفسرة :

ـــ ولكن قل لى : هل ستنتظر حتى ينتهى (سكوت) من عمليته أوّلًا ؟

نظر إليها قائلًا :

ـــ بالطبع :

تأمّلته بارتياب ، قائلة :

ـــ لماذا ؟

أبدى (سيرجو) استغرابه ، مردّدًا :

ـــ لماذا ؟ للحصول على الذهب بالطبع ..

تراجعت خطوتين إلى الوراء ، قائلة :

ــ الذهب ؟! هل تسعى أنت أيضًا إلى الاستيلاء على الذهب ؟

ابتسم (سيرجو) قائلًا :

ــ نعم .. ولمَ لا ؟

جوليا :

ــ إذن فأنت أيضًا تنوى القيام بدور الخائن !

سيرجو :

ــ يا لك من قاسية يا عزيزتى (جوليا) .. كيف طاوعك قلبك على أن تصفينى بهذه الصفة الكريهة ؟!

جوليا :

ــ ماذا تسمّى رغبتك فى الاستيلاء على الذهب إذن ؟ .. اى فارق بينك وبين (سكوت) ، ما دمت تسعى لنفس الهدف ؟

سيرجو :

ــ فارق كبير يا عزيزتى ، فـ (سكوت) خطّط للاستيلاء على الذهب لحساب نفسه ، أما أنا فقد قرّرت أن أستولى على الذهب لحساب (لوتشيا) .. دولتنا العظيمة .

ردّدت الفتاة ، وفى عينيها نظرة مرتابة :

ــ (لوتشيا) ؟!

سيرجو :

ــ نعم .. لقد كلّفت المخابرات اللوتشية (سكوت) إحضار العينة الكيميائية والمصل الواقى ، ولم يلتزم (سكوت) بالهدفين المحددين له ، فلقد فشل فى التوصّل إلى المصل الواقى ، كما أنه استغلّ العينة الكيميائية لتنفيذ سرقته ، فلا أقل من العودة بذلك الذهب إلى (لوتشيا) .. إنه إضافة لرصيدنا القومى .. أليس كذلك ؟

جوليا :

ــ ولكن هذا لا يدخل ضمن اختصاصك .

سيرجو :

ــ نعم .. أعرف أن اختصاصى ، وصميم عملى فى المخابرات اللوتشية ، هو مراقبة تنفيذ العمليات ، التى يكلّف الآخرون إياها ، ومعاقبة الخونة والفاشلين ، ولكن لا أظن أن هناك ما يمنع القيام بعمل وطنى آخر ، إذا ما أتيحت لى الفرصة لخدمة بلادى ، وهذا الذهب هو الهديّة ، التى قرّرت أن أحملها إلى (لوتشيا) ، بجانب تنفيذ مهمتى الأصلية بالطبع ، وهى معاقبة (سكوت) وأعوانه من الخونة .

جوليا :

ـــ ولكن كيف ستنفذ ذلك ؟

سيرجو :

ـــ بنفس الطريقة التى كان (سكوت) ينوى تنفيذها بها .. ألن تكون تلك السفينة فى مكانها فى البحر ، بالقرب من السواحل ، وفقًا للخطة التى حددّها (سكوت) ؟

جوليا :

ـــ نعم .

سيرجو :

ـــ إذن سنستخدم نفس السفينة فى نقل الذهب ، بعد أن نُخيِّر العاملين على ظهرها بين التعاون معنا أو الموت .. المهم عودى أنت الآن إلى الفيلا ، حتى لايقلق (سكوت) لغيابك ، وقومى بالدور المحدَّد لك ، أما أنا فسوف أظهر ومعى أعوانى ، فى الوقت المناسب .

جوليا :

ـــ كن حذرًا .. فـ (سكوت) ليس سهلًا .

ابتسم (سيرجو) قائلًا :

ـــ اطمئنى .. فأنا خبير فى اصطياد الثعالب .

استدارت الفتاة عائدة أدراجها ، فى حين وقف (سيرجو) يتابعها أثناء انصرافها ، واقترب منه أحد أعوانه ، قائلًا :

ـــ ماذا ستفعل بالفتاة ؟

بقى (سيرجو) محتفظًا بابتسامته ، وهو يقول :

ـــ سنتخلّص منها بالطبع ، بعد الاستيلاء على الذهب ، فهى تبدو متطرِّفة فى وطنيتها أكثر من اللازم .

ولم يكن (سيرجو) وحده يراقب الفتاة ، بل كان (ممدوح) أيضا يراقبها ، ويراقب الآخرين أيضا ، من إحدى الفجوات الصخرية ، بعد أن تمكّن من سماع الحديث ، الذى دار بينهم ، وأيقن أن افتراضه منذ البداية كان صحيحًا ، وأن هذه العملية تخفى وراءها هدفًا آخر ، يتجاوز الحصول على السائل الكيميائى والمصل السواق ، ولم يعد هذا الهدف خاصًّا بـ (سكوت) وحده ، وإنما ظهر له منافس آخر أيضًا .

ـــ منافس ربما لم يكن يملك خبرة (سكوت) وتاريخه فى اللصوصية ، ولكنه بلاشك أكثر منه خطورة ودهاءً ؛ لأنه يعرف كل أسرار اللعبة ، ويخطِّط لجمع كل الأوراق الموضوعة على المائدة فى النهاية ..

إنه (سيرجو) ..

الذئب .

* * *



استدارت الفتاة عائدة أدراجها ، فى حين وقف (سيرجو) يتابعها أثناء انصرافها..

١٢ ــ قطار الذهب..

وصل اللواء (مراد) فى ساعة مبكّرة إلى (الغردقة) ، وتوجه على الفور إلى المنزل الذى يقيم به (ممدوح) ، واستقبله (ممدوح) ، قائلًا :

ــ شكرًا لحضورك العاجل يا سيادة اللواء .

قال اللواء (مراد) :

ــ الأمر لا يحتمل أى تأخير ، فالمعلومات التى وصلتنا تفيد بأن هناك قطارًا محمّلًا بالذهب ، سيتحرك من أحد مناجم (سفاجة) إلى (القاهرة) ، مرورًا بـ (الغردقة) غدًا .

ممدوح :

ــ و(سكوت) ينوى الاستيلاء عليه ، ومداهمة قوة الحراسة القائمة على حراسته ، باستخدام القنبلة الغازية .

اللواء (مراد) :

ــ الأمر على هذا النحو يشكّل خطورة بالغة ، ويجب مهاجمة (سكوت) ، وكل العملاء اللوتشيين الآخرين .

ممدوح :

ــ لدى خطّة أفضل .

اللواء (مراد) :

ــ ما هى خطتك ؟

ممدوح :

ــ يجب أن ننتظر أولاً وصول الدكتور (إبراهيم) ، فسنكون بحاجة ماسة إليه لتنفيذ خطتنا .

ــ اللواء (مراد) :

ــ الدكتور (إبراهيم) سيكون هنا بعد لحظات .

ابتسم (ممدوح) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ــ سأخبرك خطتى إذن يا سيّدى .. كلها ..

* * *

تحرَّك القطار المحمّل بالذهب ، من منجم (سفاجة) ، فى طريقه إلى (القاهرة) ، حاملاً معه بعض الخامات الأخرى ، مثل البترول والفوسفات ، فى حين كانت العربة الرئيسية ، التى تضم سبائك الذهب ، التى تم جلبها من المنجم ، مغلقة تمامًا بمزلاج وأقفال حديدية من الداخل ، وقد جلست لحراستها قوة مكوّنة من ثمانية أشخاص مسلحين داخلها

بالإضافة إلى اثنين من الحرس فى مؤخرة القطار ، واثنين مثلهما فى العربة الأولى ، وقد تسلّح كل منهم ببندقية آلية سريعة الطلقات ، وأخذ جنود الحراسة يتسامرون ويتضاحكون داخل العربة ، والقطار يواصل طريقه ، فى حين كان هناك مخطَّط آخر يدور على بعد عدة كيلومترات ، فى انتظار وصول القطار ، إذ توقفت سيارة لورى فى منطقة صخرية وعرة ، بالقرب من الخط الحديدى ، الذى سيسير عليه القطار ، وجلس فى مقدّمتها (سكوت) إلى جوار (جوليا) ، ونظر فى ساعته ، قائلًا للفتاة :

ــ ما يزال أمامنا ربع الساعة على وصول القطار .

جوليا :

ــ هذا لو كانت مواعيده منتظمة .

سكوت :

ــ على كل حال ، سنبقى فى انتظاره مهما تأخر .. يجب أن تتم العملية الليلة ، قبل رحيل الباخرة ، إذ أن وجودها على هذا النحو بالقرب من (الغردقة) ،لابد وأن يثير التساؤل والريبة ، ولقد قرَّر قبطانها ضرورة رحيله الليلة .

ومن فوق أحد التلال الصخرية المطلّة على المكان ، كانت

هناك مجموعة من الأشخاص المجهولى الهوية ، يراقبون الطريق بمناظيرهم المقرَّبة ، وبرز من بينهم (ممدوح) ، وهو يتطلّع بمنظاره إلى المكان ، مشيرًا بإصبعه إلى مجموعة أخرى من الأشخاص ، كانوا يختبئون بين الصخور ، وهو يقول لزميله (رفعت) :

ــ ها هو ذا (سيرجو) وأعوانه .

رفعت :

ــ كم عددهم؟

ممدوح :

ــ لا أعتقد أنهم يزيدون على أربعة ، ولا تنس (جوليا) أيضًا ، فهى تعمل لحساب (سيرجو) . أنهم يعتمدون على استغلال عنصر المفاجأة ، وأرجو أن ينجح الرجال فى تنفيذ الخطة بأقل قدر من الخسائر .

وبعد قليل أشار أحد زملاء (ممدوح) إلى الطريق ، وهو ينظر من خلال منظاره ، قائلًا :

ــ القطار قادم .

ممدوح .

ــ حسنًا .. خذوا أهبة الاستعداد .

وفى اللحظة التالية انطلق صفير القطار مدويًا ، وهو يندفع فوق القضبان الحديدية ، وفى أثناء ذلك كان أحد الحارسين ، فى مقدِّمة القطار ، يبدو قلقًا ، وقد اكتسى وجهه ببعض التوتر ، وهو ينظر من خلال عربة القطار إلى المنطقة المحيطة به ، والتى تتناثر حولها الجبال والمرتفعات الصخرية المتفاوتة الأحجام ، ثم لم يلبث أن طلب من زميله مناولته قدحًا من الشاى ، قائلًا :

ــ هل يمكنك أن تصب لى قدحًا من الشاى .. فأنا أشعر بشئ من البرودة؟

قال زميله ، وهو يستدير ليتناول وعاء الشاى ، الموضوع على أرضية عربة القطار إلى جوارهما :

ــ بالطبع .

لكن ما أن استدار ليفعل ذلك ، حتى تناول الحارس الأول بندقيته الآلية ، ليصوِّبها فى اتجاه زميله ، ثم يضغط على الزناد ..

ووقف الحارس مذهولًا ، فقد كانت خزانة البندقية فارغة ، ولم يُسمع للطلقة سوى صوت تكّة إبرة الإطلاق ، وتحول إليه زميله ، وهو لا يقلّ عنه ذهولًا ، عندما سمع صوت

التكّة ، ورأى زميله يصوِّب فوهة البندقية فى مواجهته ، وهتف به :

ـــ ماذا تفعل ؟

تصبَّب الحارس الأول عرقًا ، فهو لم يتوقّع عدم انطلاق الرصاصة ، ولكنه تصرّف سريعًا ، فهاجم زميله ، ليضربه بمؤخرة البندقية فى صدغه ضربة قويّة ، أطاحت به فوق أرضية العربة ، ثم انتزع خنجرًا كان يخفيه حول خصره ، ليدفعه بقوة فى أحشاء الرجل ، الذى تدفقت منه الدماء ، ثم أسرع الحارس القاتل من العربة الأولى للقطار ، مقتحمًا كابينة السائق ، الذى التفت إليه ، قائلًا :

ـــ هل حدث شئ ؟

ولكنه قال وهو يتأمّل الطريق ، عبر النافذة الزجاجية للكابينة :

ـــ لا .. لا شئ .. فقط جئت أسألك إن كنت ترغب فى تناول الشاى معنا .

أجابه السائق :

ـــ أكون شاكرًا لك ، فأنا بحاجة حقيقية لتناول قدح من الشاى .

قال الحارس ، وهو يستل خنجره ، منتهزًا اهتمام السائق بمتابعة الطريق أمامه :

ـــ حسنًا .. سأحضر لك .

ثم تقدم من خلفه ، ليدفع الخنجر فى جانبه الأيمن ، وهو يلفّ ساعده حول عنق السائق ، واستمرّ فى وضع الخنجر حتى نهايته ، وتحشرج صوت السائق ، وتدفقت الدماء من جانبه ، وهو يبذل جهده فى إبعاد ساعد القاتل عن عنقه ، ولكن مقاومته لم تلبث أن تلاشت ، لتسقط يداه إلى جواره ، دون حراك ..

وألقى به القاتل على الأرض ، ثم اندفع نحو (فرامل) القطار محاولًا إيقافه ، وتعثرت محاولته فى البداية ، ولكنه نجح أخيرًا فى إيقافه فى الوقت والمكان المناسبين ..

ونظر (سكوت) إلى القطار ، الذى توقف على مسافة قريبة من سيارة اللورى ، قائلًا لأعوانه :

ـــ استعدوا .

ثم أشار بيده ، فتحرّكت بهم السيارة سريعًا ، متخذه طريقها فوق الأرض الرملية ، الممتدّة بين الصخور الجبلية ، حتى توقّفت أمام القطار ، وأشار (سكوت) بيده إشارة أخرى ،

فاندفع على أثرها أحد أعوانه ليعتلى سطح سيارة اللورى ، ومعه قاذف لإطلاق القنابل ، ثبّت فى مقدمته القنبلة الغازية التى أحضرها معه ، ثم استقلى على بطنه فوق سطح السيارة ، وأصبعه على زناد القاذف ، الذى صوّب فوهته فى اتجاه عربة القطار المحمّلة بالذهب ..

وأطلق القنبلة .

* * *

١٣ ــ المفاجأة ..

انتبه حارسا عربة المؤخرة إلى توقّف القطار ، فاندفعا عبر العربات ، ليسألا السائق عن السبب ، ولكن الرجل ، الذى قام بالتخلص من زميله ومن السائق ، كان مستمرًّا فى أداء دوره أيضًا ، إذ تناول جهازًا لاسلكيًّا كان يحمله معه ، ليتصل بوساطته بفريق الحراسة ، داخل عربة الذهب ، وهو يقول :

ــ لقد حدثت بعض التعديلات ، بشأن مواصلة القطار لرحلته إلى (القاهرة) ، مما دعا إلى التوقف .. افتحوا باب العربة ، فأنا أريد أن أحدثكم بشأن هذه التعليمات .

وعلى الفور تحرّكت الأرتجة ، وفُتحتْ الأقفال ، لفتح باب العربة التى تحتوى على السبائك الذهبية ..

وبينما كان حارسا المؤخّرة فى طريقهما إلى مقدّمة القطار ، انطلقت القنبلة الغازية من القاذف ، ليصبّ غازها على الثلاث عربات الأولى من القطار ، بما فيهم عربة الذهب وكابينة السائق ، فى الوقت الذى كان الحارس ، الذى سهّل فتح باب

العربة والتخلّص من الآخرين ، قد تمكن من ارتداء القناع الواق ، ليحميه من أثر الغاز ، وسُرعان ما تساقط حراس القطار جميعًا ، بعد أن أخذت أجسادهم ترتعد فى شدة ، وتقلّصت ملامحهم تقلصات عصبية سريعة ، ثم خمدت حركتهم تمامًا ، وعلى الفور تحركت سيارة اللورى ، التى تقل (سكوت) وأعوانه ، لتزداد اقترابًا من القطار ، وقام ثلاثة من أعوان (سكوت) بارتداء الأقنعة الواقية ، والقفز داخل عربة الذهب ، فى حين تحرَّكت السيارة ، لتصبح مؤخرتها مفتوحة فى مواجهة العربة ، وقام إثنان آخران من رجال (سكوت) بمدّ أسطوانة معدنية مفتوحة الأطراف ، ذات سطح معدنى زلق وناعم ، ليضعا مقدمتها على حافة عربة الذهب ، فى حين امتدّت فتحتها الأخرى داخل مؤخرة السيارة المفتوحة ، وبدأ الأشخاص الثلاثة ، الذين سارعوا بالقفز داخل عربة القطار ، فى قذف السبائك الذهبية داخل الأسطوانة المعدنية ، لتهبط داخل مؤخرة السيارة ، حيث تولى الآخران ترتيبها داخلها ، فى حين وقف (سكوت) و(جوليا) يشرفان على إتمام العملية ، وأخذ (سكوت) يستحثهما على الإسراع ، قائلًا :

ـ هيا .. سريعًا .. يجب أن ننتهى من هذه العملية فى أسرع وقت .

وأنهمك الرجال الثلاثة فى نقل السبائك الذهبية إلى الأسطوانة المعدنية ، فى همة ونشاط ، وبينما استغرقوا فى ذلك برز (سيرجو) وإثنان من أعوانه فجأة ، من وراء الصخور ، وهو مصوّب إلى (سكوت) وأعوانه مسدسًا سريع الطلقات ، فى حين صوَّب الآخران مدفعين آليين فى اتجاههم ، وقال (سيرجو) بصوت جهورى :

ـ حسنًا أيها الأصدقاء .. لقد انتهى دوركم عند هذا الحد .

وقف (سكوت) وأعوانه مشدوهين لعدة دقائق ، إذاء هذه المفاجأة غير المنتظرة ، ولكن (سكوت) تغلّب على تأثيرها سريعًا ، وامتدّت أصابعه نحو المسدّس المعلّق حول أبطه ، متمتمًا :

ـ لن أسمح لهذا أن يحدث ، بعد أن شارفت عمليتى على الانتهاء ، ولكن قبل أن تلمس أصابعه المسدّس ، التصقت فوهة مسدّس آخر بجمجمته ، وسمع صوت الفتاة ، يقول له :

ـ لا تكن أحمق يا عزيزى (سكوت) .

نظر (سكوت) إلى الفتاة ، وقد اعتلت وجهه ملامح الدهشة ، قائلًا :

ـــ أنتِ ؟

أجابته بثبات :

ـــ نعم .. أنا .. وهل كنت تعتقد أننا سنتركك تحيد عن الهدف المحدّد لك ، وتدير هذه العملية لحسابك ؟

تطلّع (سكوت) وأعوانه إلى الأسلحة المصوبة إليهم ، والتى ازدادت بظهور شخصين آخرين من رجال (سيرجو) ، وقد اعتليا مرتفعين صخريين ، وهما يصوبان بنادقهما الآلية فى اتجاههم ، وابتسم (سيرجو) ، قائلًا :

ـــ كما ترى .. إنك ورجالك محاصرون حصارًا استراتيجيًّا ، ولدى أى تصرّف غير عاقل ستطير الرءوس ..

قال (سكوت) لغريمه :

ـــ اسمع يا (سيرجو) .. هذه العربة تحتوى على ذهب يكفينا جميعا .. ذهب سيجعلنا من أصحاب الملايين ، ويكفل لنا حياة رغدة بقية العمر .. لا داعى لأن نتقاتل ، ودعنا نقتسم .

أطلق (سيرجو) ضحكة عالية ، قائلًا بسخرية :

ـــ وأتخلى عن واجبى ؟

صاح فيه (سكوت) .

ـــ تبًّا لك ولواجبك .. إنهم لن يمنحوك فى (لوتشيا) طوال حياتك عُشر ما يمكنك أن تحصل عليه من هذا الذهب .

سيرجو :

ـــ إننى أوافقك على ذلك ، ولا مانع من أن أنحّى الواجب قليلًا ، فى سبيل هذا الذهب ، ذى البريق اللامع .

وعلت الابتسامة وجه (سكوت) ، وقد أحسّ بأنه نجح فى التأثير على (سيرجو) ، ولكن الأخير صوّب إليه مسدسه مستطردًا .

ـــ ولكننى لا أحب القسمة ، وأُفضّل أن أستولى عليه بالكامل .

نظر إليه (سكوت) فى هلع ، قائلًا :

ـــ ولكن ...

قاطعه (سيرجو) :

ـــ ولكنك عشت فيما مضى حياة المليونيرات ، وذقت طعم الثراء ، وآن لك أن تدع تلك الحياة للآخرين .

نظرت الفتاة إلى (سيرجو) فى قلق ، قائلة :

ـــ ولكن يا (سيرجو) إننا لم نتفق على ذلك .. لقد استولى عليك الجشع .

أطلق (سيرجو) رصاصة أصابت كتف الفتاة ، قائلًا :

ـــ اتفاقى معك لاغٍ يا عزيزى .

صرخت الفتاة من شدة الألم ، وهى تهوى على الأرض ، وقد تدفّقت الدماء من كتفها ..

وفى هذه اللحظة انطلق صوت قوى من مكبّر للصوت ، يقول :

ـــ فليلق الجميع أسلحتهم .. المكان محاصر من كل الاتجاهات .

نظر (سكوت) و(سيرجو) وأعوانهم إلى المكان حولهم ، ليروا عشرات من رجال الشرطة ، وقد اعتلوا المرتفعات الصخرية المحيطة بالموقع ، ويصوّبون أسلحتهم فى اتجاههم ، وفجأة نهض أولئك الرجال ، الذين ظنوا أنهم قد لقوا مصرعهم تحت تأثير الغاز ، داخل عربة الذهب ، دون أن يعتريهم شئ من الأذى ، واستلّ كل منهم سلاحه ، للمشاركة فى محاصرة (سيرجو) و(سكوت) وأعوانهم ، وظهر (ممدوح) ، وهو يهبط المنحدر الصخرى ، المؤدى إلى الأرض

الرملية ، التى تقف عليها تلك المجموعة من الرجال ، بالقرب من قطار الذهب وسيارة اللورى ، وفى صحبته (رفعت) ، وعدد آخر من الأشخاص ، وتوجّه (ممدوح) بحديثه إلى الطبيب الذى يصاحبه ، قائلًا :

ـــ أرجو أن تعتنى بإصابة الفتاة .

ثم تحوّل إلى (سكوت) و(سيرجو) ، قائلًا :

ـــ حسنًا .. انتهت اللعبة أيها الأعزاء ، ونحن الذين نربح فى النهاية .

ثم نظر إلى (سكوت) نظرة ذات مغزى ، فهتف هذا الأخير :

ـــ ولكن .. ولكن كيف ؟

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

ـــ كيف دبرنا الأمر على هذا النحو ؟ أليس كذلك ؟ .. صحيح أنه لا وقت لدينا لسرد التفاصيل ، ولكن لا بأس فى أن أشبع فضولك .. لقد تمكنت من التوصل إلى تفاصيل الخطة ، التى رسمتها من البداية ، سواء تلك التى أعددتها للاستيلاء على الذهب ، أو تلك التى أعدّها صديقك (سيرجو) ، لكى يسلبك إياه بعد تنفيذك العملية ، وكنت أعرف أن أحد

أعوانك مندس ضمن الحرس المكلّف حماية الذهب ، لتسهيل الأمر بالنسبة لك ، وإيقاف القطار فى الوقت المناسب ، ثم فتح عربة الذهب ، ليطلق عليها أعوانك قنبلتهم الغازية ، ثم يستولون على الذهب ؛ لذا طلبت قائد قوة الحراسة ، المكلّفة حماية مقدمة ومؤخرة القطار ، بتسليمهم أسلحة فارغة من الطلقات ، وهو ما أدهش القائد فى البداية ، ولكنه سرعان ما امتثل ، وهذا ما أدّى إلى إنقاذ أحد أولئك الحراس ، وسائق القطار ، الذين زودناهم جميعا بسترات جلدية ، ارتدوها أسفل ثيابهم ، وتحت ستراتهم الأصلية ، التى تحتوى على سائل أحمر شبيه بالدماء ، وهو ما مكنهما من أداء دور القتلى ، عندما هاجمهما ذلك الرجل ، الذى يعمل لحسابك فى القطار .. أما مجموعة الحراسة داخل عربة الذهب ، فقد كانوا جميعًا من رجال المكتب (١٩) ، وكانوا جميعًا أيضًا قد حقنوا بالمصل الواقى ، الذى ابتكره الدكتور (إبراهيم) ؛ لذا فلم يكن لقنبلتك الغازية أى تأثير يُذكر عليهم ، وقد أدّوا هم أيضًا أدوارهم ، ومثّلوا دور القتلى ، الذين فتك بهم الغاز ، حتى يتاح لك ولرجالك ، ولـ (سيرجو) وأعوانه ، الكشف عن أنفسهم ، ونلقى القبض فى النهاية على الجميع .

ابتسم (سكوت) ، قائلًا :

ــ وهكذا أردت أن تكون النهاية سعيدة لك ولرجالك ، كما فعلت معى من قبل فى (أمريكا) .

ممدوح :

ــ النهايات السعيدة تكون غالبا من نصيب الرجال ، القائمين على حماية الأمن والقانون .

ولكن (سكوت) قال مستهزئًا :

ــ ولكننى لا أنوى أن أجعلها كذلك هذه المرّة ، فرجالك مازالوا يعتلون عربة الذهب داخل القطار ، وكذلك السائق والحراس الثلاثة الآخرون ، ولا أظن أنك تريد أن تضحى بكل هؤلاء .

ممدوح :

ــ وما الذى سيدعونى إلى التضحية بهم ؟

سكوت :

ــ حسنًا يا سيادة المقدم ، فلتعلم إذن أننى أخذت فى اعتبارى موقفًا كهذا ، واحتطت للأمر ؛ لذا فقد كلّفت أحد رجالى ، الذين وثبوا داخل عربة القطار لنقل الذهب ، بتثبيت قنبلة إلكترونية صغيرة ، يمكن تفجيرها عن بعد ، داخل

العربة ، قبل أن يبدأ فى نقل الذهب ، وهى قنبلة حسّاسة للغاية ، تعمل بمجرّد تلقى إشارة ألكترونية صغيرة ، من جهاز التفجير الدقيق ، الذى تراه فى يدى الآن ، وعلى مسافة تصل إلى خمسة كيلومترات .

وضحك قائلًا :

ــ إنها أحدث ما أنتجته تكنولوجيا مخابرات (لوتشيا) ؛ لذا فلدى أدنى حركة من رجالك ، الواقفين داخل عربة القطار ، أو المحيطين بنا من فوق تلك الصخور ، سيضغط إصبعى على زر التفجير ، لأُطيح تمامًا بالقطار ، وكل من فيه ، وهذا سيحدث أيضًا ، لو أطلق أحد قناصتك رصاصة من بندقيته علىّ ، فلا أضمن ، ولا يمكنك أنت أيضًا أن تضمن ، ألا يضغط إصبعى على زرّ التفجير ، فى اللحظة التى ألقى فيها مصرعى .

نظر (ممدوح) سريعًا إلى أحد رجاله ، الواقفين على حافة عربة القطار ، نظرة ذات مغزى ، نظر على أثرها الرجل إلى جدار العربة من الداخل ، دون أن يحرّك أى جزء من جسده ، خوفًا من ردّ الفعل السريع لـ (سكوت) ، ثم عاد ينظر إلى (ممدوح) ، وهو يهزّ رأسه ، دلالة على رؤيته للقنبلة ، التى

تحدّث عنها (سكوت) ، مثبّته فى جدار العربة من الداخل ، واتسعت ابتسامة (سكوت) ، وهو يقول :

ــ هل تيقّنت من حقيقة ما أقوله ؟

خفض (ممدوح) رأسه فى استسلام ، قائلًا :

ــ نعم :

سكوت :

ــ حسنًا .. إننى سأتركك تقوم بواجبك أنت ورجالك ، تجاه (سيرجو) والآخرين ، فأنت بذلك توفّر علىّ مهمة التخلّص منهم ، ولكن قبل ذلك ستتركنى أرحل بالسيارة المحمّلة بالذهب ، وأعتقد أن ما فيها يكفينى ، ويجب أن تبقى محتفظًا بكياستك وتعقلك هذا ، أنت ورجالك ، فى أثناء رحيلى ، خاصة وأنك ستقوم الآن ومعك بعض زملائك بإغلاق العربة على من فيها ، تحت بصرى وسمعى ، بالمزاليج والاقفال ، التى ستقدّم لى مفاتيحها ، وسيوفّر لى هذا بعض الوقت ، الذى أضمن به ابتعادى عن المكان ، قبل أن تبدأ فى إعادة فتح باب العربة ، وإنقاذ أصدقائك ، والتخلّص من القنبلة ، وتذكّر دائمًا أنّ جهاز التفجير ، الذى أحمله معى ، يمتدّ مداه إلى خمسة كيلو مترات ، وأى تهور قبل ذلك ، معناه

تدمير القطار ، والقضاء على زملائك ، وهو ما لا أظن إنك ترضاه وترغبه .

طلب (ممدوح) من رجاله الامتثال لما طلبه (سكوت) ، بعد أن ملك زمام الموقف ، ولكنه اعتبر هذا استسلامًا مؤقتًا ، فهو ليس ممن يقبلون الهزيمة أو الرضوخ لشروط أعدائه بمثل هذه السهولة ..

إن الأسلوب الوحيد ، الذى يؤمن به هو القتال .. والنصر .

* * *



١٤ ـ النهايات السعيدة ..

لم تكد السيارة المحمّلة بالذهب تبتعد ، وبداخلها (سكوت) ، حتى بدأ (ممدوح) فى التحرّك سريعًا ، فقام بتقسيم رجاله ، وطلب من مجموعة منهم تولّى أمر (سيرجو) والآخرين ، وطلب من مجموعة أخرى تولّى مهمة فتح باب عربة الذهب ، لتخليص زملائهم ، وإبعاد القنبلة عن القطار ، ودسّها بين الكتل الصخرية ، ثم طلب من (رفعت) الاتصال بطائرة الهليكوبتر ، الرابضة على مسافة قريبة من المكان ، فى حين اندفع هو نحو إحدى سيارات الجيب ، التى نقلته هو ورجاله ، والتى أخفوها بين المرتفعات الصخرية العالية ، وسأله (رفعت) ، قائلًا :

ـ أين تذهب ؟

ممدوح :

ـ سأحاول اللحاق بـ (سكوت) .. إننى أعرف طريقًا مختصرًا ، سيمكّننى من أن أقطع عليه الطريق ..

رفعت :

ـ هل آتى معك ؟

ممدوح :

ـ لا .. تولّى أنت الإشراف على تنفيذ الأوامر التى أصدرتها ، وكن على اتصال لاسلكى بى ، أثناء تحركى بالسيارة ، لتؤكد لى إبعاد القنبلة ، والابتعاد عن الخطر ، فلن يمكننى التدخل قبل ذلك ..

وأسرع (ممدوح) يتسلّق المنحدر الصخرى ، فى طريقه إلى الجيب ، التى وثب إليها ، وأطلق العنان لها ، بعد قليل لاحت له السيارة التى يستقلّها (سكوت) ، أسفل المرتفع الصخرى ، الذى يقود سيارته خلاله ، فزاد من سرعة (الجيب) ، ليكون بمحازاة اللورى ، الذى وضعه نصب عينيه ، وفى هذه اللحظة تلقّى الإشارة اللاسلكية ، التى كان ينتظرها من (رفعت) ، ليخبره بإبعاد القنبلة وزوال الخطر ، وشعر بعدها بالارتياح ، وقال لنفسه :

ـ الحمد لله .. الآن يمكننى التعامل مع (سكوت) ..

تمكّن (ممدوح) من أن يتجاوز بسيارته الجيب سيارة (سكوت) بعدة أمتار ، ثم قفز منها ، وأسرع يغادرها ،

ويختفى بين الصخور الحادة المدبّبة ، فى انتظار سيارة (سكوت) القادمة ، وما أن أصبحت أسفله تمامًا ، حتى وثب (ممدوح) من فوق المرتفع الصخرى إلى ظهر السيارة ، كما تفعل الفهود ، وفوجئ (سكوت) به يتعلّق بنافذة السيارة الأمامية ، ليقفز داخل كابينة القيادة إلى جواره ، وحاول (سكوت) أن يتناول مسدّسه ، ولكن (ممدوح) عاجله بلكمة قوية فى صدغه ، ثم قذف المسدّس من النافذة ، قائلًا :

ـ من الأفضل لك أن تستسلم ، أو ننهى الأمر بأيدينا ، دون حاجة إلى تلك الألعاب النارية .

وأمسك (سكوت) جهاز التفجير فى يده ، ولكن (ممدوح) ابتسم له ، قائلًا :

ـ وهذه اللعبة أيضًا لن تفيدك بشىء ، فقد تخلّصنا من القنبلة ، وأبعدها الرجال عن خطرها .

أوقف (سكوت) السيارة ، قائلًا وهو يتظاهر بالاستسلام :

ـ حسنًا .. إننى أستسلم .

ولكنه استدار سريعًا ، ليعاجل (ممدوح) بضربة قوية فى وجهه بكلتا يديه ، ثم فتح باب السيارة ليقفز منها ، وهو يشق

لنفسه طريقا بين المرتفعات الصخرية المحيطة بالمكان . ولكن (ممدوح) تماسك بسرعة من تأثير الضربة التى تلقاها ، واندفع خلفه ، محاولا اللحاق به ، إلا أن (سكوت) غافله ، واختفى وراء إحدى الصخور ، وانتظر حتى أصبح (ممدوح) على مسافة قريبة منه ، ثم أنقضّ عليه بغتة من الخلف ، ليلقى به على الأرض الصخرية ، وجثم فوقه وقد أمسك بقطعة صخرية فى إحدى يديه ، محاولا ضرب وجهه بها ، ولكن (ممدوح) أبعد وجهه جانبا فى اللحظة المناسبة ، وأراد (سكوت) أن يعيد الكرّة ، ولكن (ممدوح) أطبق على يده الممسكة بالكتلة الصخرية فى قوة ، ثم وجّه لكمة قوية إلى فكّ غريمه بإحدى قبضتيه ، وعلى الرغم من قوة اللكمة ، إلا أنها لم تؤثر التأثير الكافى على (سكوت) ، الذى أنشب أظفاره فى وجه (ممدوح) فى قوة ووحشية ..

وفى تلك اللحظة تعالى أزيز الطائرة الهليكوبتر ، التى كانت فى طريقها إلى المكان ، مما حوّل انتباه (سكوت) قليلا ، وأتاح لـ (ممدوح) فرصة تسديد لكمة أخرى إلى فكّ غريمه ، أطاحت به من فوقه ، وعلى الرغم من الجروح والآلام ، التى سببتها أظفار (سكوت) إلا أن (ممدوح) تحامل على نفسه ،

ليتفادى ركلة قوية ، كاد (سكوت) يسدّدها إلى وجهه ، ثم انقضّ عليه ، محيطاً خصره بذراعيه ، وهو يدفعه الى إحدى الصخور الضخمة ، ثم وضع راحته على صدره ، ليثبّته إلى الصخرة ، مصوّبا لكمة ثالثة أشد عنفا إلى وجهه ، كانت هى اللكمة الفاصلة ، إذ انهار على أثرها (سكوت) وهوى على الأرض فاقد الوعي تماما ..

وسرعان ما تدلّت الحبال من الهليوكوبتر ، فقام (ممدوح) بتوثيق (سكوت) بها من خصره ويديه ، ليتم رفعه إليها ، فى حين تسلّق هو سلم الحبال ، الذى تدلّى إليه ، فى طريقه إلى داخل الطائرة ، التى حملته إلى مقر قيادة العمليات الخاصة فى (الغردقة) ، وفى داخل الهليوكوبتر ، أمسك (ممدوح) جهاز اللاسلكى ، ليتحدث عبره ، قائلا :

ـ انتهت المهمة على مايرام .. أرجو إرسال قوة حراسة كاملة ، للعودة بعربة الذهب .

وتلقى (ممدوح) ردا على جهاز الاستقبال ، من اللواء (مراد) ، الذى قال :

ـ أهنئك على هذا النجاح .. لقد أرسلنا قوة الحراسة بالفعل .

وشعر (ممدوح) بالارتياح ، لدى تلقيه هذه الرسالة ،

فأغلق جهاز اللاسلكى ، واسترخى فى مقعده ، ثم نظر إلى (سكوت) ، الذى كان مقيدًا إلى جواره ، وقد بدأ فى استرداد وعيه ، قائلًا :

ـــ ألم أقل لك يا عزيزى (سكوت) : إن النهايات السعيدة غالبًا ما تكون من نصيب الرجال ، القائمين على حماية الأمن والقانون ؟

واتسعت ابتسامته ، وهو يضيف :

ـــ من نصيبنا نحن .

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦٢٠

المطبعة العربية الحديثة

٨ شارع ٤٧ بالمنطقة الصناعية بالعباسية

القاهرة ـ تليفون : ٨٢٦٢٨٠

الهدف الخفى

لكن (ممدوح)، الذى اندفع تجاه الباب كالعاصفة، باغت الرجل المتأهب لإطلاق الرصاص عليه، بدفع أسنان الشوكة الحادة، التى استولى عليها من فوق المائدة، فى يده القابضة على المسدس.

المؤلف



ا. شريف شوق

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

٥٤

العدد القادم

تحدّى الشيطان

الثمن فى مصر ١٠٠ ص وما يعادله بالدولار الامريكى فى سائر الدول العربية والعالم